القصيدة العاشرة (١٤٥) بيتاً

المصطفى ارتقى الصَّفا (من مزدوج الرّجز)

١- لَمْ يَنْطِقِ المختارُ يَوْماً عن هَوَى ... لكنّهُ وَحْيٌ مِنَ الله هَوَى[١]

٢- قد أَكْرَمَ اللهُ الحَبِيبَ الغالي ... محمّداً بِأَحْسَنِ الأَقْوالِ

٣- هذا الكتابُ المُعْجِزُ المَجِيدُ ... هذا الحديثُ المُحْكَمُ الفَرِيدُ

٤- كُلُّ نبيٍّ كان يدعو قَوْمَهُ ... أَنْفَقَ فيهم أَمْسَهُ ويَوْمَهُ

٥- أمّا النَّبِيُّ الخاتِمِ العظيمُ ... فالخَيْرُ في إرْسالِهِ عَميمُ[٢]

٦- أَرْسَلَهُ الرّحمنُ بالإسْلامِ ... يَدْعُو إليه جُمْلَةَ الأَنامِ

٧- لِلإنْسِ والجِنّ هو البشيرُ ... لِلْجِنّ والإنْسِ هو النَّذِيرُ

٨- قد كان يَدْعُو قَوْمَهُ في السَّرَّ ... بالْأَمْرِ من رَبٍّ رَءُوفٍ بَرَّ

٩- حَتّى إذ الدّينُ غدا مَتِينا ... وقامَ فَوْقَ ساقِهِ مَكِينا

١٠- الحقُّ قالَ اصْدَعْ بما أُمِرْتا ... وأَعْلِنِ الدَّينَ الّذي أَسْرَرْتا

١١- وأَنْذِرِ القَرِيبَ والبَعِيدا ... وأَعْلِنِ القُرْآنَ والسُّجُودا

١٢- إلى نِداءِ الْحَقِّ أَصْغَى المصطفى ... وفي صباحِ يَوْمِهِ ارْتَقَى الصَّفا[٣]

١٣- نادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ البُطُونا ... مِنْ أَجْلِ أن يَأْتُوهُ أَجْمَعِينا

١٤- إنّ الّذي نادَى هو الأَمِينُ ... لِأجْلِ هذا كلُّهُم ظُنُونُ

١٥- ماذا الّذي قد أَزْعَجَ الأَمِينا ... حَتّى نراهُ اليَوْمَ صاحَ فِينا

١٦- ما جَرَتِ العادةُ لِلْأَمِينِ ... بأن أَتَى ما قَدْ أَتَى في الحِينِ[٤]

---

(١) أكرمني الله تعالى بهذا المطلع في المسجد النّبويّ الشّريف .

(٢) العميم: العامّ الشّامل .

(٣) الصّفا : سفح جبل أبي قبيس .

(٤) أتى الأولى زمانية تفيد البُعْد . وأتى الثّانيّة معنويّة تفيد فعل الشيء بمشقّة . والحين : هذا الوقت .

١٧- هـذا الهُـدَى بالقُـرْبِ مِـنْ أجيـادِ يَـدْعُو ذَوِي القُـرْبَى مِـنَ الأَجْـوادِ

١٨- يُكَـرَّرُ الـدُّعاءَ والنِّـداءَا فهـل رَأى مِـنْ خَلْفِـهِ أَعْـداءا[1]

١٩- إنّ محمّـداً عَـلا الثَّنِيَّـهْ فَهَـلْ رَأَى وراءَهـا بَلِيَّـهْ ؟

٢٠- إنّ محمّـداً يَـرَى الـزَّوايا هَـلِ الـزَّوايا قـد حَـوَتْ خَبـايا ؟

٢١- لكنَّنَـا في البَلَـدِ الأَمِـينِ نَعِـيشُ في أَمْـنٍ وفي سُـكونِ

٢٢- الحَـقُّ أَنّا كُلَّنـا حَيـارَى كأنَّنـا مِـنْ حالِنـا سُـكارَى

٢٣- هـذا الأَمِـينُ صَـوْتُهُ يُجَلْجِـلُ كُـلَّ نَـوَاحِي قَلْبِنـا يُزَلْـزِلُ

٢٤- في هـذه الأَثْنـاءِ كـان الجَـمُّ صَـوْبَ الأمينِ المصطفى قـد أَمُّـوا [2]

٢٥- أمّـا الّـذي قـد فاتَـهُ الحضـورُ فقـد أَتَـى عَنْـهُ أخٌ غَيُـورُ

٢٦- الكُـلُّ كـان وُدُّه أن يَسْـمَعا مـا يُشْـبِعُ الشَّـوْقَ بِـهِ تَضَـلَّعا

٢٧- قـال الهُـدَى لـو أَنَّـني أَخْبَـرْتُكُمْ أَنِّي أرى خَـيلاً وقـد أَنْـذَرْتُكُمْ

٢٨- أكـونُ قـد بَـرَرْتُ أو عَقَقْـتُكُمْ أكـونُ قـد كَـذَبْتُ أو صـدْقتُكُمْ ؟

٢٩- قـالوا لَـهُ أنـت هـو الصَّـدُوقُ أنـت علينـا دائمـاً شَـفِيقُ

٣٠- قـال اسْمَعُـوا وعُـوا الَّـذي أَقُـولُ إنّي مِـنَ اللهِ لَكُـمْ رَسـولُ

٣١- إنّي نَـذِيرٌ لكُـمُ مُبِـينُ قَبْـلَ عَـذابٍ لكُـمُ يكـونُ

٣٢- وكـان عـمُّ المصـطفى أبـو لَهَـبْ فـيهِمْ يُضِـئُ وَجْهُـهُ مِثْـلَ الـذَّهبْ

٣٣- وكـان ذا قَلْـبٍ حَقُـودٍ أَسْـوداَ لـيس لـه الأَعْـداءُ إلاّ أحمـدا

٣٤- لَمْ تَحْتَمِـلْ نَفْـسٌ لَـهُ مَرِيضَـهْ لابْـنِ أَخيـهِ نِعْمَـةً عَرِيضَـهْ

٣٥- صـاحَ بأعْلَـى صَـوْتِهِ الغَرِيـبِ يَـدْعُو بِكُـلَّ الشَّـرَّ لِلْحَبِيـبِ

٣٦- يَقُـولُ تَبّـاً لَلَّـذي دَعـانا بِقَوْلِـهِ الْغَـثِّ لَقَـدْ دَهـانا

---

(١) زيدت الألف بعد همزة الرّويّ خَطّاً مراعاةً للصّوت .

(٢) الجمّ : الكثير من النّاس . أمّوا : قصدوا .

٣٧- وشَـــتْمِهِ الأَصْـــنامَ قـــد بَـــلانا والحَـــطِّ مِـــنْ عُقُولِنـــا رمـــانا
٣٨- لم يَلْتَفِـــتْ أحمـــدُ لِلْجَهـــولِ وإنَّمـــــا بادَر بالنُّـــــزُولِ
٣٩- صَـدْرُ الرَّسـولِ انْشَـرَحَ انشِـراحا قـــد كَتَـــبَ اللهُ لَـــهُ النَّجاحـــا
٤٠- قـــد مَـــلأَتْ دَعْوتُـــهُ البِطاحـــا وعطَّرَتْهـــا مَنْـــزِلاً وســـاحا[1]
٤١- واللهُ ربُّ العَـــرْشِ والجـــلالِ دافَـــعَ عـــن أَحْمَـــدَ ذي الكَمـــالِ
٤٢- في سُـــورةٍ مِـــنْ مُحْكَـــمِ التَّنْزِيـــلِ قـــد دافَـــعَ المَـــوْلَى عـــن الرَّسُـــولِ
٤٣- تَبَّـتْ يـدا خَصْـمٍ لَـدُودٍ ذي لَهَـبْ لَمْ يُغْـنِ عَنْـهُ مالُـهُ أو مـا كَسَـبْ
٤٤- لم يَدْعُـــهُ الـــرَّحْمنُ عَبْـــدَ العُـــزَّى ولا دَعـــــا أُمَّ جَمِيـــــلٍ أَرْوَى[2]
٤٥- عَـــنِ العَزِيـــزِ انْحَرَفُـــوا بالعُـــزَّى وشَـــوْكَها في الـــدَّرْبِ ألقَـــتْ أَرْوَى
٤٦- القُـــبحُ لا يَأْتِي مِـــنَ الأُرْوِيَّـــهْ لكـــنّ ذى كانَـــتْ هـــي الأُثْفِيَّـــةْ[3]
٤٧- الشَّـــوْكُ لا يأتي مـــن الرَّيْحانَـــهْ لكـــنّ ذي قـــد أصـــبَحَتْ شَـــيْطانَهْ
٤٨- مـــا قِيمَـــةُ الجَمـــالِ والصَّـــباحَهْ إذا تَبَـــدَّى فِعْلُهـــا قباحَـــهْ
٤٩- مـــا قِيمَـــةُ البيـــانِ والفصـــاحَهْ إذا يكـــونُ قَوْلُهـــا وقاحَـــهْ
٥٠- مِـــنْ حُسْـــنِها قـــالوا هِـــيَ العَـــوْراءُ مِـــنْ سُـــوئها قُلْنـــا هـــي العميـــاءُ
٥١- اللهُ أَعْمَـــى منهمـــا البَصِـــيرهْ لم يُعْلِنـــا الشَّـــهادَةَ الكَبِـــيرهْ[4]

---

(١) السّاح جمع السّاحة ، وهي فضاءٌ بين دور الحيّ لابناء فيه ولا سقف .

(٢) عبد العُزَّى اسم أبي لهب بن عبد المطّلب . وأروى اسم زوجه أمّ جميل وهي أخت أبي سفيان بن حرب . وبسبب جمالها الفائق تلقب بالعوراء .

(٣) الأرويّة ، بضمّ الهمزة وكسرها : تقع على الذّكر والأنثى من الوعل والجمع أراوى ، وأروى على غير قياس. والأثفيّة : أحد أحجار ثلاثة توضع عليها القدر والجمع أثافي .

(٤)الشّهادة الكبيرة شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله ، لم يدّعيا اعتناق دين الإسلام ولم ينطقا بالشّهادتين لا سرّاً ولا علانية .

٥٢- كـي يَكْـذِبا : لَسْـنا مـن الفُجّـارِ والنّـــارُ للفُجّـــار لا الأَبْـــرارِ[١]

٥٣- كُـلُّ مـن الـزَّوجين يَصْـلَى نارا قـد أَشْـرَكا ولقـد أهـانا جـارا

٥٤- في الشَّـرَّ كانَـتْ قـد تَمـادَتْ أَرْوَى كانـت تَخُـصُّ المصـطفى بالْبَلْـوَى

٥٥- الـوَحْيُ عـن محمّـدٍ وقتـاً فَتَـرْ قالـت لـه مَـوْلاكَ حقّـاً قـد هَجَـرْ

٥٦- قـد أَنْـزَلَ الـرّحمنُ آياتِ الضُّـحَى فيهـا بَشِـيرٌ أنّ ربّاً مـا قَلَـى

٥٧- الـوَحْيُ بَعْـدَ سُـورَةِ الضُّـحَى حَمِـى وكُـلُّ فَـرْدٍ مِـنْ ذوِي كُفْـرٍ عَمِـى

٥٨- إلهُنـا قـد أَمَـرَ الحَبِيبـا أن يُنْـذِرَ العشَـيرَ والقَرِيبـا

٥٩- وأن يَلِـين جَنْبُـهُ للتّـابِعِ وأن يَبِـينَ صَـفْحُهُ لِلـدَّافِعِ

٦٠- بادَرَ خَيْـرُ الخَلْـقِ أجمعينـا إلى دُعـاءِ الصَّـحْبِ والأَهْلينـا

٦١- في جَلْسَـةٍ هَنِيَّـةٍ رَضِـيَّهْ قـال لَهُـمْ في لَهْجَـةٍ حَنِيَّـهْ

٦٢- لا يَكْـذِبُ الرّائِـدُ يومـاً أَهْلَـهُ فـإنَّ في إعْـزازِهم عِـزّاً لَـهُ[٢]

٦٣- لَـوْ صَـحَّ أنّي أكْـذِبُ الـدَّثارا فـإنّني لاأَكْـذِبُ الشَّـعارا[٣]

٦٤- ولا أُداجِـي في حَيـاتي جـارا فَهَـلْ أداجِـي أَهْلِـيَ الأَخْيـارا[٤]

٦٥- واللهِ إنّي لَلرَّسـولُ الحـقُّ مِـنْ عـالِمِ السَّـرَّ ومـاَ يـدِقُّ[٥]

٦٦- علـى خُصـوصٍ لكُـمُ بشـيرُ علـى عُمـومٍ للـوَرَى نَـذِيرُ

٦٧- دَعْـوَةُ خَـيْرِ الخَلْـقِ عالَمِيَّـهْ مِـنْ فَجْرِهـا في الفَتْـرَةِ المكّيَّـهْ

---

(١)كي يدّعيا أنّهما من أصحاب الجنّة وليسا من أصحاب النّار بقصد تكذيب القرآن الكريم الّذي قال إنّهما من أصحاب النّار .

(٢)الرّائد : من يسبق القوم يبصر لهم الكلأ ومساقط الغيث .

(٣) الدَّثار كنايةٌ عن الأجانب . والشَّعار كنايةٌ عن الأقارب .

(٤) داجاه بالعداوة : ساتره بالعداوة ولم يُبْدِها له .

(٥) ما يَدِقّ : ما يَخْفَى .

٦٨- في سورةِ الأَعرْافِ شِئْنا أو سَبَأْ أو سورةِ الفُرْقان يأتينا النّبأ[١]

٦٩- الْمَوْتُ نَوْمٌ وقتُهُ طويلُ يَتْلُوهُ بَعْثٌ وَزْنُهُ ثقيلُ

٧٠- إنّ الحِسابَ وَقْتُهُ عَسِيرُ وشَرُّ ذاك اليَوْمِ مُسْتَطِيرُ

٧١- مِنْ بَعْدِهِ يَمْشِي التُّقاةُ وفداً لِرَبِّهِمْ يَلْقَوْنَ مِنْهُ رِفْدا[٢]

٧٢- أمّا البُغاةُ فيَرَوْنَ نارا تدعوهُمُ لِدَرْكِها جِهارا

٧٣- هذا ثَوابُ الخُلْدِ في دارِهِ هذا عذابُ الخُلْدِ في نارِهِ

٧٤- أَشْقَى قُرَيْشٍ كان عَبْدَ العُزَّى قد هَزَّهُ الشَّيْطانُ واسْتَفَزَّا

٧٥- قام خَطِيباً قائِلاً في القَوْمِ لو أنّني أَسْكُتُ حَقَّ لَوْمى

٧٦- على يَدِ الدَّاعي خذوا جميعاً مِنْ قَبْلِ أن تُشْقُوا به الجُموعا

٧٧- عَمَّا قَرِيبٍ سوف تَلْتَفُّ العَرَبْ عليكُمُ وعِنْدها أَقْوَى سَبَبْ

٧٨- وسوف يأتي نَحْوَكُمْ منها العَطَبْ يَرْمِيكُمُ العُرْبُ بِأنواعِ اللَّهَبْ

٧٩- الحَرْبُ لا تَعْرِف بَيْتاً مِنْ ذَهَبْ كالنَّارِ إذ تأتِي على كُلَّ الحَطَبْ

٨٠- في ذلك الوقت تكون الحَيْرَهْ إذ يطلُبُ العُرْبُ الفَتَى لا غَيْرَهْ

٨١- إذا رَضِيتُم كان ذُلَّ الدَّهْرِ وإن أَبَيْتُمْ كان قَصْفَ العُمْرِ

٨٢- هنالك العَمُّ الشَّقِيقُ قاما وقال لا أَقْبَلُ ذا الكَلاما[٣]

٨٣- إنّا أُناسٌ عندنا كَرامَهْ مَرْفوعةٌ مِنّا جميعاً هامَهْ[٤]

٨٤- إن سَلَّ كلُّ واحِدٍ حُسَامَهْ أَلْقَى عَظيمَ الدَّرْسِ في الشّهامَهْ

---

(١) الآيات الكريمات ١٥٨ و ٢٨و١ على التوالي .

(٢) وفدا : زُكْبانا .

(٣) العمّ الشّقيق أبو طالب شقيق عبد الله والد النّبيّ صلّى الله عليه وسلم .

(٤) الهامة : الرّأس .

٨٥- اِبْـنِي عِقـالُ المَجْـدِ والعِمامَـهْ في يَـوْمِ رَوْعٍ كُلُّنـا أَمامَـهْ[١]

٨٦- لَنْ يأخذوا من ظُفْرِهِ قُلامَهْ إلاّ إذا صاحَتْ بقَبْرى هامَهْ[٢]

٨٧- محمّـدٌ تاجُ فَخـارِ الأهـل رغـم الّـذي قـد ناهُـمْ مـن شُـغْلِ

٨٨- القَـوْمُ قـد ولَّـوْ إلى أَعْمـالِهِمْ يَرْجُـونَ فَضْـلَ اللهِ في آمـالِهِمْ

٨٩- والمصـطفى الغـالي انْبَـرَى لِلقَـوْمِ يَـدْعوهُمُ للهِ كُـلَّ اليَـوْمِ

٩٠- لمّـا رأَوْا أنّ الحَبيـبَ قـد سَـعَى يَـدْعُو إلى الـرَّحمنِ كُـلَّ مَـنْ وعَـى

٩١- قـالوا ذروهُ عـن قَرِيـبٍ يُقْلِـعُ ويَهْجُـرُ القَـوْلَ الّـذي لا ينفـعُ!

٩٢- لكنّـه مـا ازْدَادَ إلاّ عَزْمـا يـدعو إلى البـاري وإلاّ حَزْمـا

٩٣- وهـذه أخلاقُـهُ المجيـدَه كأنَّهـا قـد أَصْـبَحَتْ أُنْشـودَهْ

٩٤- محمّـدٌ قـد فَـتَنَ الشّـبابا بالْمَنْطِـقِ العَـذْبِ الّـذي أَصـابا

٩٥- مـا كـان -حَسْـبَ قولِـهِ-كِتـابا أو كـان -حَسْـبَ قولِنـا-خِطـابا

٩٦- الحَـقُّ أنّا مـا نريـد نَجْهَـلُ أمـرانِ حُلْـوٌ طَعْمُـهُ وحَنْظَـلُ

٩٧- مكـارِمَ الأَخْـلاقِ مَـنْ ذا يَجْهَـلُ وهَجْـرَ أَصْـنامٍ لنـا مَـنْ يَقْبَـلُ؟

٩٨- المصـطفى قـد هَـيَّجَ الأَقْوامـا لمّـا دعـا أن يَهْجُـروا الأَصْـناما

٩٩- وسَـفَّهَ الآراءَ والأَحْلامـا وَهَـزّأَ الآباءَ والأَعْمامـا

١٠٠- وحَقَّـرَ الأَنْصـابَ والأَزْلامـا وأيَّـدَ التَّوحِيـدَ والإِسْـلاما

١٠١- لقـد مَضَـى الأشـياخُ مـن قُـرَيْشِ إلى شَـقِيقِ والِـد القُرَيَشْـي[٣]

١٠٢- قـالوا أَتَيْنـا في بَـلاءٍ هَمَّنـا وفي مُصـيباتٍ أهاجَـتْ غَمَّنـا

١٠٣- هـذا فَتـانا هَـزَّأ الجميعـا ومَـزَّق الصُّـفوفَ والجُمُوعـا

---

(١) الابن محمّد صلّى الله عليه وسلّم . وكان أبو طالب وعبد الله والد النّبيّ صلّى الله عليه وسلم شقيقين .

(٢) القُلامة : ما قُطعَ من طرف الظّفر . والهامة : بومة خرافيّة يزعمون أنّها تخرج من رأس القتيل وتظل تصيح حتى تأخذ بثأره .

(٣) القريشي : محمّد صلّى الله عليه وسلّم . وشقيق والده: أبو طالب .

١٠٤- وسَـــقَّه العُقـــولَ والأَحْلامـــا وحَقَّـــرَ الأَنْصـــابَ والأَصْـــناما

١٠٥- عليـــه أن يَكُـــفَّ عَنَّـــا شَـــرَّهُ فـــلا نُرِيـــدُ حُلْـــوَهُ ومُـــرَّهُ

١٠٦- وإن أَبَى إنّا جميعـــاً صَـــفُّ مِـــنْ أَجْـــلِ باقـــي قَوْمِنـــا نصـــطفُّ

١٠٧- نَأْبَى يَمَـــسُّ النّـــاسُ مِنّـــا دِينـــا لاتٌ وعُـــزَّى أيُّ شَـــيْءٍ فينـــا !

١٠٨- عَـــمُّ الرَّســـولِ الـــرُّكنُ لِلْحَبيـــبِ خَـــصَّ الشُّـــيُوخَ الشُّـــمَّ بالتَّرْحيـــبِ[١]

١٠٩- قـــد خَصَّـــهُمْ بقَولِـــهِ اللّطيـــفِ وفِعلِـــــه المهـــــذَّبِ الظَّريـــــفِ

١١٠- مِـــنْ هاهنـــا قـــامُوا وهـــم سِـــباعُ كـــأنَّهُمْ مـــن غَـــيْظِهِمْ جِيـــاعُ

١١١- ومِـــنْ هنـــا هَـــبَّ الرَّسُـــول يَـــدْعُو تَهْفُـــو لَـــهُ جَـــوارِحٌ وسَمْـــعُ

١١٢- والـــوحيُ مـــاءٌ حَـــطَّ مِـــنْ سَمـــاءِ يَنْعَـــى علـــى الأَقْـــوامِ أُسَّ الـــدّاء[٢]

١١٣- قـــد أَشْـــرَكُوا بالواحِـــدِ المَعْبُـــودِ فِي الـــذَّبْحِ والرُّكُـــوعِ والسُّـــجودِ

١١٤- وقَلَّـــــدُوا الآباءَ والجُـــــدُودا وحَطّمـــــوا الـــــدُّرُوبَ والسُّـــــدُودا

١١٥- وعَطَّلُـــوا العُقُـــولَ والأَفْهامـــا وقَدَّسُـــــوا الأَوْثانَ والأَصْـــــناما

١١٦- وخـــــالَفُوا شَـــــرِيعَة الخَليـــــلِ عـــن كـــلَّ رُكْـــنٍ جِـــيءَ بالبـــدِيلِ

١١٧- قـد أَصْـبَحُوا فِي مُستَوى السَّـوامِ بـل هُـمْ قَـدِ انحطّـوا عـن الأَنـعْـامِ[٣]

١١٨- لم يَقْبَـــلِ الأَشْـــياخُ مِـــنْ محمّـــدِ نُـــوراً مـــن البـــارِي يَـــراهُ المهتـــدي

١١٩- كـانوا حِراصـاً أن يَكُـفَّ الهـادِي عـــن صَـــرْفِهِ الغـــاوِي إلى الرَّشـــادِ

١٢٠- العَـمُّ قـد أعطـى قَـدِيماً وَعْـداً والحُـــرُّ لا يَغْتـــالُ يَوْمـــاً عهـــدا

١٢١- ظَنّـــوا بأن المصـــطفى المُختـــارا قـــد ســـار فيمـــا أَسْـــعَدَا الكُفَّـــارا

---

(١) الشُّمّ جمع أشمّ بمعنى المتكبّر . والتَّرْحيب : الدّعاء إلى الرَّحب بمعنى السّعة .

(٢) يَنْعى : يعيب عليه ويشهّر به . أُسُّ الدّاء : أساسه .

(٣) السَّوام جمع سوائم : الماشية والإبل الرّاعية .

١٢٢- ما كان ذاك الوَعْدُ مِنْ محمّدِ قد كان مِنْ عمَّ كَرِيمِ المْحْتِدِ [١]

١٢٣- مازال خَيْرُ الخَلْقِ يَدْعُو النّاسا كي يَطْرُدُوا من دَرْبِهِم خَنّاسا

١٢٤- أن يُفْرِدوا الرحمنَ بالعبادهْ كي يَظْفَروا بمُنْتَهَى السَّعادَهْ

١٢٥- لا يَنْفَعُ الإنسانَ إلاّ فِعْلُهُ لا ينفعُ الإنسانَ يوماً أَهْلُهُ

١٢٦- فليحذرِ الإنسانُ حَرَّ النّارِ النّاسُ تُفْنِيهِمْ مع الأَحْجارِ [٢]

١٢٧- لم يَمْلِكِ الأَحْلافُ وقتاً عَقْلَهُمْ ظَنّاً بأنّ العَمَّ ما أوفى لَهُمْ

١٢٨- قالوا لَهُ ذي مَرَّةٌ أَخيرَهْ نأتيك نَبْغي وَحْدَة العَشِيرَهْ

١٢٩- إن أَنْتَ أوفَيْتَ انتهَى ذا الأَمْرُ أو أنت ما أَوْفَيْتَ بان الغَدْرُ

١٣٠- كِلاكُما حَقاً عَدُوٌّ أَكْبَرُ الحَرْبُ حَتْماً عن قريبٍ تُسْعَرُ

١٣١-لا نرتضي يا عَمَّهُ الأَقْوالا بل نَرْتَضِي يا عَمَّهُ الأَفْعالا

١٣٢- العَمُّ يَدْعُو خَيْرَ كُلِّ الخلقِ يُبْدِى لَهُ ما قد جَرَى في رِفْقِ

١٣٣- يَرْجُوهُ أن يَبْقَى بِهِ رَفِيقا كي يَخْرُجا ممّا رآه ضِيقا

١٣٤- ظَنَّ الرَّسولُ الْمُجْتَبَى الْمَجِيدُ أن قد بدا لِعَمَّهِ جَديدُ

١٣٥- قد كان يَخْشَى عمَّهُ أن يَخْذُلَهْ أو يَمْنَعَ العَوْنَ الّذي قد كان لَهْ

١٣٦- المصطفى قد قالَ يا عمّاهُ إنّي رَسولٌ ربُّهُ ناداهُ

١٣٧- بِالوَحْيِ ربُّ الكَوْنِ قد قَوَّاهُ والنَّشْرِ لِلْإسْلامِ قد وَصَّاهُ

١٣٨- لَوْ قد حَوَتْ شَمْسَ الضُّحى يُمْناهُ أو قد حَوَتْ بَدْرَ الدُّجَى يُسْراهُ

١٣٩- مِنْ أَجْلِ تَرْكِ الأَمْرِ من مَوْلاهُ والهَجْرِ لِلْإسْلامِ كي يَنْساهُ

١٤٠- لم يَأْتِ إلاَّ الأَمْرَ قد سَمَّاهُ جِبْرِيلُ مِنْ رَبٍّ لَهُ أوْحاهُ

---

(١) المَحْتِدِ : الأصل والطّبع .

(٢) المراد بالأحجار الأصنام .

١٤١- الـدَّمْعُ قـد فاضَـتْ بِـهِ عَيْنـاهُ والصَّـــوْتُ لم يَبْلُـــغْ مـــداهُ فـــاهُ
١٤٢- المصــطفى قــد لاحَ مِنْــهُ القَفــا والعَـــمُّ حَقّـــاً بان مِنْـــه الوَفـــا
١٤٣- قد قال لِلْهادِي الرَّسُولِ السَّامِي أَقْبِــلْ وقُــلْ مــا شِــئْتَ في الأقــوامِ
١٤٤- كــلُّ الّــذي يَأْتِي مِــنَ الإيــذاءِ أَرْمِـــي بـــه فـــوراً إلى الأَعْـــداءِ
١٤٥- إنّا نَـــذودُ القَـــوْمَ في المَيْـــدانِ والكُـــــلُّ مِنَّـــا لِلْمعَـــــالِي باني

تمّت

يوم الأحد ١٤٢٤/١١/٢٦هـ

مكّة المكرّمة

"القرآن الكريم ليس سحراً والرّسول صلّى الله عليه وسلّم ليس ساحراً"

ما أكثر التّهم الّتي وجّهها المشركون إلى القرآن الكريم وإلى الرسول العظيم صلّى الله عليه وسلّم . ومن هذه التّهم أنّ القرآن الكريم ضربٌ من السّحر ، وأنّ الرّسول العظيم صلّى الله عليه وسلّم ساحرٌ مبين . ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾[1] ومن الآيات الكريمات الّتي جاء فيها اتّهام المشركين للقرآن الكريم بأنّه سحرٌ مبين قول الحقّ جلّ وعلا في سورة هود[2] المكّية [3] :

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾

ومعنى الآية الكريمة ، والله تعالى أعلم ، وهو عزّ وجلّ الّذي خلق السّماوات والأرض في ستّة أيّام ، الله تعالى أعلم بحقيقتها . وكان عرشه عزّ وجلّ على الماء . جاء في صحيح البخاري[4] الحديث الّذي رواه أبو هريرة رضي الله تعالى عنه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال : " يد الله مَلْأَى لا يَغِيضُها[5] نفقة . سَحَّاءُ[6] اللّيلَ والنّهارَ[7] وقال : أرأيتم ما أنفق منذ خَلَق اللهُ السماوات والأرض فإنّه لم يَغِضْ[8] ما في يده . وقال: عَرْشُهُ

---

(١) سورة الكهف ٥ .

(٢) الآية ٧ .

(٣) الإتقان ٤٣/١ .

(٤) فتح الباري ٣٩٣/١٣ حديث رقم ٧٤١١ .

(٥) لا يغيضها : لا يَنْقُصها . فتح ٣٩٥/١٣ .

(٦) سحّاء : دائمة الصَّبّ . فتح ٣٩٥/١٣ .

(٧) اللّيل والنّهار : بالنَّصْب على الظّرف أي فيهما ويجوز الرّفع . فتح ٣٩٥/١٣ .

(٨) لم يَغِض : لم ينقص . فتح ٣٩٥/١٣ .

على الماء وبيده الأخرى الميزانُ يَخْفِض ويَرْفَع .

والله سبحانه خلق السماوات والأرض وسخّر لنا كلّ ما في السّماوات وما في الأرض ليبلونا عزّ وجلّ أيُّنا أحسن عملاً ، وليختبرنا أنشكر أم نكفر ، أنفرده عزّ وجلّ بالعبادة أم نُشْرك . ولئن قلت يا محمد للمشركين إنّكم مبعوثون من بعد الموت للحساب والجزاء ، الثّواب والعقاب ، ليقولَنَّ الّذين كفروا : " ما هذا الّذي تتلوه علينا ممّا تقول إلاّ سحرٌ لسامعه مبينٌ حقيقته أنّه سحر " [١] .

ومن الآيات الكريمات التي جاء فيها اتّهام المشركين للرّسول صلّى الله عليه وسلّم بأنّه ساحر قول الحقّ جلّ وعلا في سورة يونس[٢] المكّية [٣] :

﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ ﴾

والمعنى ، والله تعالى أعلم ، أكان عَجَباً للنّاس إيحاؤنا القرآن[٤] على رجلٍ منهم وإنسان من جنسهم هو محمّد بن عبد الله صلّى الله عليه وسلّم ، أن أنذر النّاس بالعذاب، وأن بشّر الّذين آمنوا[٥] بأنّ لهم[٦] قَدَمَ صدقٍ وسابقَةَ فضيلة [٧] عند ربّهم جلّ وعلا . قال الكافرون إنّ هذا الشّخص لساحرٌ مبين ، وإنّ الّذي أُنْزِل عليه ضربٌ من السّحر .

---

(١) تفسير الطّبري ٥/١٢ .

(٢) الآية ٢ .

(٣) الإتقان ٤٣/١ .

(٤) تفسير الطّبري ٥٨/١١ .

(٥) انظر تفسير الطّبري ٥٨/١١ والجلالين .

(٦) الجلالين .

(٧) مفردات الرّاغب الأصفهاني : " قدم " ٥١٣/٢ .

والقرآن الكريم معجزة محمّد بن عبد الله صلّى الله عليه وسلّم الكبرى الخالدة ، وقد تكفّل الله تعالى بحفظ القرآن الكريم إلى يوم الدّين . جاء في سورة الحِجْر [١] المكيّة[٢] قولُ الحقّ جلّ وعلا :

﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ (٦) لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٧) مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ (٨) إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩) ﴾

والمعنى ، والله تعالى أعلم ، وقال مشركو مكّة للنّبي محمّد صلّى الله عليه وسلّم على سبيل الاستهزاء : يا أيّها الّذي نُزِّل عليه الذِّكرُ حسب زعمه ، وأُوحي إليه القرآن حسب ادّعائه ، إنّك لمجنونٌ في حقيقة الأمر حسب اعتقادنا . هلّا[٣] تأتينا بالملائكة شاهدةً بأنّك نبيٌّ وبأنّ القرآن موحًى به من ربّك: إن كنت صادقاً في أنّ الله تعالى بعثك إلينا رسولاً وأنزل عليك كتاباً[٤] ولمّا كان قد سبق إلى علمه عزّ وجلّ أنّ القوم متعّنتون ولا تنقصهم الحجّة وأنّ الآية الّتي طلبوا لو تحقّقت فإنّهم لن يؤمنوا وفي ذلك هلاكهم فإنّ الحقَّ جلّ وعلا يبيّن هذه الحقيقة . إنّ الله تعالى ما ينزّل الملائكة حال التّكذيب إلاّ بالعذاب[٥] وما كانوا حين نزول الملائكة بالعذاب مؤخَّرين[٦] لتوبةٍ أو مَعْذِرة .

إنّا نحن نزّلنا الذّكر أي القرآن الكريم ، وإنّا له لحافظون إلى يوم الدّين .

إنّ مشركي مكّة المكرّمة وسائر مشركي العرب لا تخفى عليهم معجزة القرآن الكريم البيانيّة الّتي تلائمهم ولا يُلائِمُهُمْ غَيْرُها . فإذا أصرّوا على الشّرك مع وجود هذه المعجزة

---

(١) الآيات ٦-٩ .

(٢) الإتقان ٤٣/١ .

(٣) تفسير الطّبري ٤/١٤ .

(٤) تفسير الطّبري ٥/١٤ .

(٥) تفسير الطّبري ٦/١٤ .

(٦) الجلالين وتفسير الطّبري ٦/١٤ .

فهذا دليلٌ على أنّ القوم لن يؤمنوا لو تحققت المعجزة الّتي اقترحوا ، وفي عدم الإيمان هلاكهم ، والله تعالى يريد صلاحهم وهدايتهم وليس شقاءهم وهلاكهم . وإنّ هذه المعجزة البيانيّة الله تعالى حافظها إلى يوم الدّين ، في الصّدور والسّطور . ولا تزداد هذه الحقيقة إلاّ رسوخاً بمرور الأعوام والدّهور . ولله الحمد والمنّة .

وقد أوحت هذه المعاني بالقصيدة التّالية .

القصيدة الحادية عشرة(٤٣)بيتاً
المصطفى مُؤَيَّدٌ بالآل (من البسيط)

١- رَبُّ الوُجُودِ إلهُ الفَضْلِ والكَرَمِ ... قد أَيَّدَ المصطفى بِالآلِ في الحْرَمِ[١]

٢- ذاك الفَخارُ تَساوَى فيهِ سابِقُهُمْ ... ومَنْ تَأَنَّى فلم يَسْجُدْ ولم يَقُم[٢]

٣- فَضْلُ المْلِيكِ تَغَشّى آل مُطَّلِبٍ ... والآلَ مِنْ هاشِمٍ ذي الجُودِ والكرم

٤- إذا الرَّحِيمُ اْبتَلَى عبداً يُدَبَّرُهُ ... يكون مِنْ رَحْمَةِ الرّحمنِ في خَدَم

٥- قد اصطفى اللهُ خَيْرَ الخَلْقِ كلَّهِمِ ... بأن يُبَلِّغَ دِيناً سائِرَ الأُمم

٦- هل يملك المصطفى المختارُ من مُضَرٍ ... إلاّ اْمِتثالاً لِأَمْرِ اللهِ ذي العِظَم

٧- سَعَى حثيثاً إلى الأَقْوامِ يَنْصَحُهُمْ ... بِهَجْرِ ما يَعْبُدُ الأَقْوامُ من صَنَم

٨- وأن يُنِيبوا إلى الرّحمن خالِقِهِمْ ... فَيَعْبُدُوا اللهَ فَرْداً بارِئَ النَّسَم[٣]

٩- قد اسْتجابَ لِصَوْتِ الحَقِّ فاضِلُهُمْ ... وكلُّ شَهْمٍ نَبِيلٍ حاذِقٍ فَهِم[٤]

١٠- أولئك القَومُ لا يَشْقَى جَلِيسُهُمُ ... هُمُ الهُداةُ لِمَنْ قد باتَ في الظُّلَم

١١- هُمُ استمدُّوا من القرآنِ نُورَهُمُ ... وسُنَّةِ المصطفى والأُسْوَةِ العَلَم

١٢- وعن جُنُونِ قُرَيْشٍ قُلْ بِلا حَرَجٍ ... غَداةَ خافُوا على الآلاءِ والنِّعَمَ

١٣- لقد تَعَشَّشَ وَهْمٌ في خيالِهِمُ ... كما شَدَدْتَ بِأَطْنابٍ على خِيَم[٥]

١٤- بأنّ ذا الدّينَ ضَرْبٌ من تنافُسِهِمْ ... على النّفائِسِ من شاءٍ ومِنْ نَعَم

١٥- وأنّهم في مَجال الْمَجْدِ قد بَرَزُوا ... بِصُورَةِ النَّدِّ مِنْ رَأْسٍ إلى قَدَم

---

(١) الحرم : مكّة المكرّمة .

(٢) كان آل المطّلب وآل هاشم في صفّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، مؤمنهم وكافرهم . ولم يقم : لم يقم اللّيل عابداً لله تعالى .

(٣) النَّسَم : الخَلْق والنّاس .

(٤) فَهِم : فاهم .

(٥) الأطناب : الحبال ، والمفرد طنب بضّم النّون وسكونها .

١٦- فكيف يَقْوَى شُيُوخٌ مِنْ أَفاضِلِهِمْ على البُلوغِ لِمَرْقى الْوَحْيِ والحِكَم[١]

١٧- هذا الْمَقُولُ هراءٌ لا أَساسَ لَهُ وذا ادَّعاءُ فَتًى في العَقْلِ مُتَّهَم

١٨- الوَصْفُ بالسَّحْرِ أَقْوى ما يُلائِمُهُ مِنْ وَصْفِهِ بِضُروب القُبْحِ والتُّهَمَ

١٩- كَلامُهُ السَّحْرُ إن يَنْفُثْهُ فيك فَقُلْ قَدِ انتهى الّذي بيننا من رِقَّةِ الرَّحِم

٢٠- لم يُدْرِكِ القومُ أنّ الدَّينَ آصِرةٌ أَقْوَى من الأهْلِ والأَمْوالِ والحَشَم[٢]

٢١- ومِنْ جَمِيعَ ضُروبِ السَّحْر يَعْرِفُها مَنْ لا خَلاقَ له في العُرْبِ والعجم[٣]

٢٢- دِينُ المليكِ بِه اخْتَصَّ ابنَ آمنةٍ لِنَشْرِهِ في وِهادِ الأَرْضِ والأَكَم

٢٣- وقد تَكَفَّلَ ربُّ العَرْشِ بارئُهُ أن يُظْهِرَ الدِّينَ رَغْمَ الكافِرِ الخَصِم[٤]

٢٤- وذا الكتابُ العَزِيزُ الحقُّ آيَتُهُ مَحْفُوظَةٌ بالّلسانِ الرَّطْبِ والقَلَم

٢٥- وعن مَكارِمِ أَخْلاقٍ يُتَمّمِهُا تَحَدَّثَ الرَّكْبُ في حُلْوٍ من النَّغَم

٢٦- وهل سَمِعْتَ عن الآياتِ يَقْرَؤُها عند الحَطيمِ أمامَ البيتِ في الحَرَمَ[٥]

٢٧- وعن لَطائِفِ أَقْوالٍ سَرَتْ حِكماً تُشَنَّفُ الأُذْنَ إذ تَجْرِى بِكُلَّ فَم

٢٨- اللهُ أكبرُ ذا المختارُ مِنْ مُضَرٍ قد خَصَّهُ اللهُ بِالغالي مِنَ الكَلِم[٦]

٢٩- وبِالعَظِيم مِنَ الأَخْلاقِ عَطَّرَها خَلْقٌ جميلٌ وتَقْوَى اللهِ في الرَّحِم

٣٠- ماذا جَرَى لِقُرَيْشٍ في عُقولِهِمُ هُمْ عطّلوها لذا انحطُّوا عن البَهَم[٧]

٣١- أَكَذَّبُوا المصطفى ذاك الّذي عَرَفُوا بِأَنَّهُ الصّادقُ الْمَصْدُوقُ من قِدَم

---

(١) المرقَى : موضع الرّقيّ .

(٢) آصرة : رابطة وعاطفة وعلاقة .

(٣) لا خلاق له : لا حظّ له ولا نصيب من الخير .

(٤) الخَصِم : الّذي يلتمس الخصومة بالباطل .

(٥) الحَطيم : هو ما بين الرّكن والمقام وزمزم والحِجر . الحرم : المسجد الحرام .

(٦) الكَلِم : جمع الكلمة .

(٧) البَهَم : البهائم .

٣٢- مـاذا تَقُـولُ لِمَـنْ أَعْمَـى بَصـائِرَهُمْ ... ربُّ الأَنامِ فمـا ازْدادُوا سِـوَى صَـمَم

٣٣- تَقُـولُ زادَكُـمُ الـرّحمنُ فَـرْطَ أَسَـى ... وزادَكُـمْ يـوم حَشْـرٍ حـارِقَ الحُمَـم[١]

٣٤- لم يَتْرُكـوا أيَّ دَرْبٍ مـن شُـرورِهِمُ ... إلاّ وقـد لَطَّخُـوا أنْحـاءَه بِـدَم

٣٥-وفي سبيلِ خَسِيسِ القَصْدِ هم رَكِبُوا ... كـلَّ الحماقـات مِـنْ كَـفٍّ ومـن قَـدَم

٣٦- لم يرقُبُـوا في قَريـبِ القـومِ حَـقَّ دمٍ ... ولا بعيـدٍ حُقـوقَ الجـارِ والـذِّمَم

٣٧- بِقَـدْرِ مـا ازْدادَ صَـبْرُ المؤمنين علـى ... أذاهُـمُ ازْدادَ بَغيـاً عابِـدُو الصَّـنَم

٣٨- ولم يكـن خَيْـرُ خَلْـقِ الله كُلَّهِـمُ ... بمَعْـزِلٍ عـن شَـدِيدِ الضُّـرَّ والأَلَم

٣٩- لكنّـه كـان في صَـوْنٍ ورَحْمَـةِ مَـنْ ... رَعـاه طِفْـلاً ضـعيفاً واضِـحَ اليَـتَم[٢]

٤٠- بِـوَحْيِ شَـرَّ مـن الشَّـيْطانِ جـارِهِم ... تَبَـيَّنَ الْمَكْـرُ بالْمُخْتـار مِـنْ أَمَـم[٣]

٤١- اللهُ ربُّ الـوَرَى قـد رَدَّ كَيْـدَهُمُ ... وهـا هـو المصـطفى نارٌ علـى عَلَـم[٤]

٤٢- بِطَيْبـةِ الخَيْرِ قـد أَلْقَـى عَصـاهُ ضُـحَى ... وكـان مَسْـجِدُهُ والـدّارُ في حَـرَم[٥]

٤٣- تَعـانَقَ النُّـورُ مُـذْ قـد شَـعَّ مِـنْ حَـرمٍ ... وشَـعَّ مـن حُجُـراتِ الطُّهْـرِ والحِكَـم[٦]

تمّت

يوم الجمعة ١٤٢٤/١٢/٨هـ

مكّةَ المكرّمة

---

(١) الحُمم : هي الّتي تقذفها البراكين .

(٢) اليَتَم : حالة اليتيم من الضّعف والحاجة والانفراد .

(٣) أَمم : قُرْب .

(٤) علم : جبل

(٥) حرم : منطقة مقدّسة .

(٦) من حرم : من مسجد النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم .

﴿ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولاً ﴾

كفّار مكّة لا تنقصهم الحُجَّةُ على رسالة محمّد صلّى الله عليه وسلّم ولكنّهم قومٌ متعنّتون ويَشُقُّون على أنفسهم . وممّا جاء في هذا الشأن قول الحقّ جلّ وعلا في سورة الأنعام[1] المكّيّة[2] :

﴿ وَقَالُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لاَ يُنظَرُونَ(٨) وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ(٩) ﴾

والمعنى ، والله تعالى أعلم ، وقال كفّار مكّة هلاّ[3] أُنْزِلَ على محمّد مَلكٌ من السّماء يشهد أنّه رسول ربّ العالمين . ولو أنزلنا ملكاً أَدْلى بهذه الشّهادة لَقُضِي الأمر بإهلاكهم ثمّ لا يُمْهلون لتوبةٍ أو مَعْذِرة[4] لقد سبق إلى علم الله تعالى أنّ كفّار مكّة لو تحقّقَ طلبهم فإنّهم لن يؤمنوا ، ولم يشأ الحقّ جلّ وعلا أن تَجْرِي عليهم سنّته عزّ وجل في المكذّبين السّابقين ، لذا لم تتمّ الاستجابة لطلبهم . ولو أنّ الحقّ جلّ وعلا استجاب لهم وأنزل الملك الشّاهد حسب طلبهم فإنّه سيكون في هيئة رجلٍ ، لأنّ البشر لا يطيقون رؤية الملائكة على حقيقتهم ، وفي هذه الحال سيقول المشركون إنّ هذا رجلٌ وليس ملكاً ، ونحن نريد ملكاً لا رجلاً . وهكذا يدور المشركون في حَلْقَة مفرغة ، ولا يتحقّق لهم ما يريدون . " ولَلَبَسْنا عليهم ما يلبسونه على أنفسهم من حقيقة أمرك وصحّة برهانك وشاهدك على نبوّتك " [5] ولخلطنا عليهم ما يخلطون [6] .

---

(١) الآية ٨ و ٩ .

(٢) الإتقان ١ / ٤٣ .

(٣) الجلالين .

(٤) الجلالين .

(٥) تفسير الطّبري ٩٨/٧ .

(٦) تفسير ابن كثير ٢٣٧/٣ .

وقد أشارت سورة الإسراء [1] المكّيّة [2] إلى مجموعةٍ من الاقتراحات الّتي اقترحها المشركون دليلاً على تعنّتهم .

قال عزّ من قائل :

﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا (٩٣) ﴾

والمعنى ، والله تعالى أعلم ، وقال المشركون بعد فشلهم في إغرائه صلّى الله عليه وسلّم بكلّ المغريات كي يكفّ عن الدّعوة إلى الله تعالى [3] لن نؤمن لك يا محمّد ولن نصدّق أنّك رسول الله تعالى حتّى تَفْجُر لنا من أرضنا هذه عيناً تَنْبُعُ لنا بالماء[4] أو أن يكون لك بِأَرْض مكّة وفي الوادي غير ذي الزّرع بستان[5] من نخيلٍ وعنب ، فتفجّر الأنهار وسطه[6] تفجيراً . والنّخل والعنب أكرم نبتتين أو شجرتين عند العرب . وفي وجودهما دليلٌ على وجود غيرهما من الثّمار والأشجار . أو تُسْقِط السّماء كما زعمت علينا قطعا[7] أو تأتي بالله تعالى والملائكة عِياناً نقابلهم مقابلةً فنعاينهم معاينة[8] أو يكون لك يا محمّد

---

(١) الآيات ٩٠-٩٣ .

(٢) الإتقان ٤٣/١ .

(٣) انظر أسباب النّزول للواحدي النّيسابوري ٣٣٨-٣٤١ .

(٤) تفسير الطّبري ١٠٧/١٥ .

(٥) تفسير الطّبري ١٠٨/١٥ .

(٦) مفردات الرّاغب الأصفهاني : " خل " ٢٠٤/١ .

(٧) تفسير الطّبري ١٠٨/١٥ .

(٨) تفسير الطّبري ١٠٨/١٥ .

في أرض مكّة بيتٌ من ذهب[1] أو ترقى في درج السّماء وتصعد في سلّمٍ إلى السّماء [2] ولن نؤمن لرقيّك ولن نصدّقك في صعودك حتّى تنزّل علينا كتاباً منشوراً وغير مطويّ نقرؤه ، فيه أمرنا باتّباعك والإيمان بك ! [3] قل يا محمّد لأولئك المشركين المتعنّتين : تنزيهاً لله عمّا يصفونه به وتعظيماً له من أن يُؤْتَى به وملائكته ، أو يكون لي سبيلٌ إلى شيء مما تسألونيه[4] هل كنت إلاّ بشراً خلقني الله تعالى واصطفاه بالرّسالة ! إنّ الّذي يقدر على فعل كلّ شيءٍ هو الله تعالى وحده دون سواه .

بل بلغ الحمق بالمشركين إلى الحدّ الّذي دَعَوُا الله تعالى معه أن يُمْطِرَ عليهم حجارةً من السّماء أو يأتيهم بعذاب أليم . جاء في سورة الأنفال [5] المدنيّة [6] قول الحقّ جلّ وعلا :

﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٢) وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (٣٣) وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٤) وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٥) ﴾

---

(١) تفسير الطّبري ١٥/١٠٩ .

(٢) انظر تفسير الطّبري ١٥/١٠٩ .

(٣) تفسر الطّبري ١٥/١٠٩ .

(٤) تفسير الطّبري ١٥/١١٠ .

(٥) الآيات ٣٢-٣٥ .

(٦) الإتقان ١/٤٣ .

والمعنى ، والله تعالى أعلم ، واذكر يا محمّد[1] إذ قال مشركو قريش عموماً ، النضر ابن الحارث وأبو جهل خصوصاً [2] يا ألله ، إن كان هذا القرآن الّذي يتلوه محمّد موحىً به من عندك فأمطر علينا حجارةً من السماء بدل المطر ، أو ائتنا بعذابٍ أليم . لقد كان هذا هو دعاءَهم بدلاً من أن يسألوا ألله تعالى الهداية . جاء في سبب النّزول في صحيح البخاريّ[3] عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال أبو جهل : اللّهمّ إن كان هذا هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارةً من السّماء أو ائتنا بعذاب أليم . فنزلت : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ . وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ الآية . وما كان الله ليعذب مشركي مكّة وأنت فيهم يا محمّد ، وما كان الله تعالى معذّبهم وهم يستغفرون الله تعالى . قال ابن عبّاس : كان فيهم أمانان ، النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم والاستغفار . فذهب النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وبقي الاستغفار[4] وكان بمكّة مؤمنون يستغفرون الله تعالى . والاستغفار أمانٌ من الله تعالى للمؤمنين إلى يوم القيامة[5] .

وكيف لا يعذّبهم الله تعالى[6] وهم يصدّون المؤمنين عن المسجد الحرام ، وما كانوا أولياء المسجد الحرام ولا أهله ، وإنّما أهله النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه[7] ما أولياء المسجد الحرام[8] وأهله إلا المتقون ولكنّ أكثر المشركين لا يعلمون هذه الحقيقة[9] وما كان

---

(١) الجلالين ، والجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٨٢/٥ .

(٢) انظر تفسير ابن كثير ٥٨٨/٣ و ٥٨٩ .

(٣) فتح الباري ٣٠٨/٨ حديث رقم ٤٦٤٨ و ٣٠٩ حديث رقم ٤٦٤٩ .

(٤) تفسير ابن كثير ٥٨٩/٣ .

(٥) انظر تفسير ابن كثير ٥٩٠/٣ .

(٦) تفسير ابن كثير ٥٩٢/٣ .

(٧) انظر تفسير ابن كثير ٥٩٢/٣ .

(٨) انظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٨٥/٥ .

(٩) التّفسير البسيط ٢٦٣/٩ .

صلاة المشركين عند البيت الحرام إلاّ صفيراً[١] وتصفيقاً[٢] فذوقوا العذاب يا أيّها المشركون بسبب كفركم وشرككم ، في يوم بدر من القتل والسَّبْيْ[٣] .

إنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم حينما هاجر ذهب عن المشركين أحد الأمانين . وحينما اتّجهوا إلى بدر انفصل عنهم المؤمنون الّذين يشاركونهم الاستغفار . وإنّ كفّار مكّة بدلاً من سؤال الله تعالى الهداية هم يسألون الله تعالى أن يمطرهم حجارةً من السّماء أو أن يأتيهم بعذابٍ إليم . وها هو ذا أبو جهل حينما التقى الجمعان في بدر يستفتح ويقول : اللَّهمّ أيّنا كان أقطع للرّحم وأتانا بما لم نعرف فأحِنْه[٤] الغداة . وكان ذلك استفتاحه . فأنزل الله تعالى في ذلك الآية الكريمة التّاسعة عشرة من سورة الأنفال الّتي تبيّن أنّ الله سبحانه وتعالى شاء أن يكون في يوم بدر الفتح بمعنى الظّفر[٥] وأنّ نصره عزّ وجل المظلوم على الظّالم والحقّ على المبطل[٦] من نصيب المؤمنين بقيادة محمّد صلّى الله عليه وسلّم .

وهذه الآية الكريمة التّاسعة عشرة من سورة الأنفال ، قال عزّ من قائل :

﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ (١٩) ﴾

والمعنى ، والله تعالى أعلم ، إن تطلبوا أيّها المشركون يوم بدرٍ من الله تعالى أن ينصر المظلوم والمحقّ فقد جاءكم نصر الله تعالى الّذي كان لرسولنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم والمؤمنين.وإن تنتهوا أيّها المشركون عن الكفر والصّدّ عن سبيل الله تعالى فهو خيرٌ لكم . وإن تعودوا إلى محاربة الله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وسلّم نعد إلى إهلاككم وإلحاق

---

(١) تفسير الطبري ١٥٧/٩ .

(٢) تفسير الطّبري ١٥٧/٩ .

(٣) تفسير ابن كثير ٥٩٤/٣ .

(٤) فأحنه : فأهلكه .

(٥) مفردات الرّاغب الأصفهاني : " فتح " ٤٧٩/٢ .

(٦) تفسير الطّبري ١٣٧/٩ .

الهزيمة والذّلّ بكم ، ولن تُغْنِيَ عنكم فئتكم الكافرة ولن تنفعكم مطلقاً ولو كثرت تلك الفئة عدداً وعدّة . واعلموا أنّ الله تعالى دائماً وأبداً مع المؤمنين .

وهذا عتبة بن ربيعة العَبْشَمِيّ من بني عبد شمس ، وكان من سادة قريش ، يعرض على كبار رجالات قريش أن يأذنوا له في عرض أمورٍ على محمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم لعلّه يقبلها أو يقبل بعضها ويكفّ عن دعوته وتسفيه آلهتهم فيأذنوا له . إنّه يعرض على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم المال ، والشّرف ، والمُلْك ، والعِلاج . ويكتفي النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في الرّدّ عليه بتلاوة آيات من سورة فصّلت . ولمّا وصل النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى إنذار السّورة الكريمة كفّار قريش صاعقةً مثل صاعقة عادٍ وثمود أمسك عتبة بفيه صلّى الله عليه وسلّم وناشده الرّحم أن يكفّ عن ذلك . ولمّا عاد عتبة إلى قريش نصحهم وممّا قال لهم [1] " يا معشر قريش أطيعوني فاجعلوها لي . خَلُّوا بين الرّجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه ، فوالله ليكوننّ لكلامه الّذي سمعت نبأ . فإن تصبه العرب كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فعزّه عزّكم . فقالوا : لقد سحرك محمّد فقال : هذا رأيي " .

وهذه هي الآيات الكريمات من سورة فصّلت[2] المكية[3] الكريمة . قال عزّ من قائل:

﴿ حم (١) تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (٢) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣) بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٤) وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ (٥) قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ

(١) نور اليقين ٦٠ وانظر السّيرة النّبويّة ٢٩٣/١ .

(٢) الآيات ١-١٤ .

(٣) الإتقان ٤٣/١ .

وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ (٦) الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٧) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٨) قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (١٢) فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ (١٣) إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ (١٤) ﴾

والمعنى ، والله تعالى أعلم ، حم ، هذا القرآن الكريم تنزيلٌ من الرّحمن الّذي وَسِعَتْ رحمتُهُ كلَّ حيٍّ وشيء ، الرّحيم بالمؤمنين رحمةً خاصَّةً بهم . وهذا القرآن الكريم كتابٌ فُصّلت آياته الكريمات ،وبُيِّنَتْ معانيه ، وحُدِّدت مراميه ، واتّضحت أحكامه وحكمه . أنزله الله تعالى قرآناً عربيّاً لقومٍ يعلمون اللّسان العربيّ [1] كي يتدبّروه ويبشّروا الآخرين به ، مبشّرا به المؤمنين بجنّات النّعيم ، ومنذراً الكافرين بنار الجحيم ، فَأَعرض أكثر المشركين عنه ، فهم لا يسمعونه سماع وعيٍ وقبول .

وقال المشركون قلوبنا في أغطيةٍ [2] مما تدعونا إليه يا محمد من التّوحيد ، وفي آذاننا

---

(١) تفسير الطّبري ٥٩/٢٤ .

(٢) تفسير الطّبري ٥٩/٢٤ ومفردات الراغب الأصفهاني : "كن " ٥٦٩/٢ .

ثِقَلٌ وصَمَم [١] ومن بيننا وبينك يا محمّد حِجابٌ وساترٌ هو الاختلاف في الدَّين . فاعمل على دينك وطريقتك إنّنا عاملون على ديننا وطريقتنا . قل يا محمّد : ما أنا إلاّ بشرٌ مثلكم[٢] يُوحَى إليّ إنّما إلهكم إلهٌ واحدٌ فتوجّهوا إليه[٣] بالطّاعة [٤] ، واستغفروه ، وهلاكٌ ومشقّةٌ من العذاب للمشركين [٥] الّذين لا يُؤَدُّون زكاة أموالهم [٦] وهم بالآخرة هم كافرون . إنّ الّذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم عند ربّهم أجرٌ غير مقطوع[٧] ولا منقوص [٨] .

قل يا محمّد للمشركين ، وفيهم عتبة بن ربيعة ، في أسلوب الاستفهام الإنكاريّ[٩] أئنّكم لتكفرون بالله تعالى الّذي خلق الأرض بغير دَحْوٍ وتهيئةٍ للسُّكْنى في يومين اثنين ، الله تعالى أعلم بحقيقتهما، وتجعلون له شركاء [١٠] ونظراء وأمثالاً تعبدونها معه [١١] ذلك الله تعالى ربّ العالمين . وجعل في الأرض جبالاً رواسي[١٢] من فوقها ، وبارك فيها بكثرة المياه والزُّروع والضُّروع[١٣] وقَدَّر فيها أرزاق العِباد [١٤] في تمام أربعة أيّام [١٥] لا تزيد ولا تنقص، ويستوي في معرفة هذه الحقيقة كلّ من سأل

---

(١) تفسير الطّبري ٢٤/٥٩ .

(٢) تفسير الطّبري ٢٤/٦٠ .

(٣) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١١/٢٣٧ .

(٤) تفسير الطّبري ٢٤/٦٠ .

(٥) انظر لسان العرب : " ويل " .

(٦) تفسير الطّبري ٢٤/٦٠ .

(٧) تفسير ابن كثير ٧/١٥٣ والجلالين .

(٨) تفسير الطّبري ٢٤/٦١ .

(٩) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١١/٢٣٨ .

(١٠) الجلالين .

(١١) تفسير ابن كثير ٧/١٥٤ .

(١٢) تفسير الطبري ٢٤/٦٢ .

(١٣) الجلالين .

(١٤) تفسير الطبري ٢٤/٦٢ .

(١٥) الجلالين .

وأراد أن يعرف عدد تلك الأيّام . ثمّ استوى عَزّ وجلّ وارتفع إلى السّماء[١] وقصد[٢] وهي دُخانٌ وبخار الماء المتصاعد منه حين خُلِقَتِ الأرض[٣] فقال لها عزّ وجلّ وللأرض ومن فيهنّ[٤] ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين وجئنا بما أَحْدثْتَ فينا من خَلْقِك مستجيبين لأمرك لا نعصى أمرك[٥] فصيّرهنّ[٦] سبع سماوات في يومين آخرين[٧] تمام ستّة أيّامٍ بالتّمام والكمال ، وأوحى في كلّ سماءٍ أمرها ، وألقى في كلّ سماءٍ من السّماوات السّبع ما أراد من الخلق[٨] وزيّنّا السّماء الدّنيا بالكواكب وهي المصابيح[٩] وبالنّجوم [١٠] وحفظناها حفظاً [١١] من استراق الشياطين السّمع بالشّهب[١٢] كلّ الّذي تمّ ذِكْرُه تقديرُ العزيز الغالب القهّار العليم الّذي لا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السّماء .

فإن أعرض كفّار مكّة عنك يا محمّد فقل أنذرتكم صاعقةً مثل صاعقة عاد قوم هود عليه الصّلاة والسّلام ، وثمود قوم صالح عليه الصّلاة والسّلام . حين جاءتهم الرّسل من بين أيديهم ومن خلفهم مقبلين عليهم ومدبرين عنهم[١٣] ويتبع بعضهم بعضاً متوالين[١٤] ينهونهم عن عبادة غير الله تعالى . قالوا لو شاء ربّنا لأنزل ملائكةً من السّماء ولم يرسل

---

(١) تفسير الطبري ٦٤/٢٤ .

(٢) الجلالين .

(٣) تفسير ابن كثير ١٥٦/٧ .

(٤) تفسير الطّبري ٦٤/٢٤ . ومعاني القرآن للفراء ١٣/٣ .

(٥) تفسير الطبري ٦٤/٢٤ .

(٦) الجلالين .

(٧) تفسير ابن كثير ١٥٦/٧ .

(٨) تفسير الطّبري ٦٤/٢٤ .

(٩) تفسير الطّبري ٦٤/٢٤ .

(١٠) الجلالين .

(١١) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٢٤٠/١١ وتفسير الطّبري ٦٤/٢٤ .

(١٢) الجلالين .

(١٣) الجلالين .

(١٤) التّفسير الميسَّر ٤٧٨ .

بشراً ، فإنّا بما أُرْسِلْتُمْ به من دعوةٍ إلى التّوحيد وإفراد الله تعالى بالعبادة لكافرون !

وإنّ الّذي يريد الله تعالى أن يهديه يشرح صدره لاعْتناق دين الإسلام بعكس الّذي يريد عزّ وجلّ أن يضلّه . جاء في سورة الأنعام[1] المكّيّة [2] قول الحقّ جلّ وعلا :

﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (١٢٥) ﴾

والمعنى ، والله تعالى أعلم ، فمن يرد الله سبحانه وتعالى أن يهديه ويوفّقه إلى الخير يشرح صدره للإسلام ، ويوسّع قلبه للتّوحيد والإيمان به[3] ومن يرد أن يضلّه يجعل صدره ضيّقاً وحَرَجاً شديد الضّيق مليئاً بالشّكوك مزدحماً بالأباطيل [4]وسُئِل النّبيّ صلّى الله عليه و سلّم عن هذه الآية الكريمة وقالوا : كيف يشرح صدره يا رسول الله ؟ قال : نورٌ يُقْذَف فيه فينشرح له وينفسح . قالوا : فهل لذلك من أمارةٍ يُعْرف بها ؟ قال: الإنابة إلى دار الخلود ، والتّجافي عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل لقاء الموت[5] وكأنّ الّذي يجعل الله تعالى صدرَه ضيّقاً حَرجَاً يتصعّد في السّماء[6] ويرقى في طبقات الجوّ العليا ، وكلّما استمرّ الصّعود قلّ الأُكْسِجين وارتفع الضغط وضاق مجرى التنّفس .

إنّ هذه حقيقةٌ علميّةٌ نبّه عليها القرآن الكريم الّذي لا تنقضي عجائبه . في مثل جَعْلِ الله تعالى الكافر ضيّقَ الصّدر جعل الله تعالى العذاب الأليم للكافرين ، وسلّط عزّ

---

(١) الآية ١٢٥ .

(٢) الإتقان ٤٣/١ .

(٣) تفسير ابن كثير ٣٢٧/٣ .

(٤) انظر مفردات الرّاغب الأصفهاني : " حرج " ١٤٧/١ .

(٥) تفسير ابن كثير ٣٢٧/٣ .

(٦) مفردات الرّاغب الأصفهاني : " صعد " ٣٦٨/٢ .

وجلّ الشّياطين على المجرمين[1] .

وإذا كان الدّعاة إلى الله تعالى وفي مقدّمتهم المرسلون يستطيعون أن يقوموا بفضل الله تعالى بِهُدى الدّلالة أو الإرشاد ، فإنّ الحقّ جلّ وعلا وَحْدَهُ دون سواه هو الّذي يملك هُدَى التّوفيق لاعتناق دين الإسلام . ومن الآيات الكريمات الّتي بيّنت هذا المعنى هذه الآية الكريمة من سورة القصص[2] المكّيّة[3] قال عزّ من قائل :

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٥٦) ﴾

والمعنى ، والله تعالى أعلم ، إنّك يا محمّد لا تهدي من أحببت ، ولو كان عمَّك أبا طالب ، ولكنّ الله تعالى يهدي من يشاء من عباده ، لأن هُدَى التّوفيق بيده عزّ وجلّ وبإذنه وَحْدَه دون سواه . والله تعالى أعلم بالمهتدين الصّادقين في الاهتداء ، وفي طلب الهداية من الله تعالى .

وقد بيّنت الآية الكريمة الخامسة عشرة من سورة محمّد صلّى الله عليه وسلّم المدنيّة[4] أنواع الأنهار في الجنّة من ماءٍ ولبنٍ وخمرٍ وعسلٍ ، وأنواعَ الثّمرات والمغفرةَ من الله تعالى ، وذلك في مقابل خلود الكافرين في النّار وشُرْب الماء الشّديد الحرارة الّذي يقطّع أمعاءهم . قال عزَّ من قائل :

﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٣٢٩/٣ .

(٢) الآية ٥٦ .

(٣) الإتقان ٤٣/١ .

(٤) الإتقان ٤٣/١ .

﴿ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ (١٥) ﴾

والمعنى ، والله تعالى أعلم ، صفة الجنّة [١] الّتي وعدها الله تعالى المتّقين ، فيها أنهارٌ من ماءٍ غير متغيّر الرّيح[٢] فضلاً عن الطّعم واللّون ، وأنهارٌ من لبن لم يتغيّر طعمه لأنّه لم يخرج من الضُّروع إنّما أنشأه الله تعالى إنشاءً ، وأنهارٌ من خمرٍ لذيذة[٣] للشّاربين ، ليس فيها شيءٌ من مُنَغَّصات خمر الدّنيا ، وأنهارٌ من عسل مصفّى من كلّ شائبة ، بما في ذلك أيسرها كالشمع مثلاً ، لأنّه لم يخرج من بطون النّحل إنّما أنشأه الله تعالى إنشاءً . ولهم فيها من كلّ الثّمرات والفواكه ، ولهم مغفرةٌ من ربّهم لذنوبهم ورضاً عنهم .

أَمَنْ هو في هذا النّعيم كمن هو خالدٌ[٤] في نار جهنّم ، وسُقُوا ماءً شديد الحرارة[٥] فقطّع أمعاءهم فخرجت من أدبارهم ، والعِياذُ بالله .

وقد أوحت هذه المعاني بالقصيدة التّالية .

---

(١) تفسير الطّبري ٣١/٢٦ .

(٢) تفسير الطّبري ٣١/٢٦ ولسان العرب : " أسن " .

(٣) الجلالين .

(٤) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٤٦/١٢ .

(٥) الجلالين .

القصيدة الثّانية عشرة (٦٤)بيتاً

إغراءات قُرَيش للنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم (من البسيط)

١- شُيوخُ مَكَّةَ أَغْرَوْا خاتَمَ الرُّسُلِ ... بِكلِّ ما قَدّرُوهُ مُنْتَهَى الأَمَلِ

٢- مِنَ الثَّراءِ إلى مُلْكٍ إلى شَرَفٍ ... إلى عِلاجٍ يُداوِي أَخْطَرَ العِلَلِ

٣- وحينما خَيّبَ المختارُ ظَنَّهُمُ ... تَحَوَّلَ القَوْمُ مِنْ ظَنٍّ إلى خَطَلِ

٤- أكان أَشْياخُهُمْ يَعْنُونُ ما اقْتَرَحُوا ... مِنَ الحَماقاتِ حتّى النَّقْلِ للجَبَلِ

٥- وَهَبْ مَلائكةَ الرَّحمنِ قَدْ نَزَلَتْ ... وقد تَقَمَّصَ كلٌّ صورَةَ الرَّجُلِ

٦- وبالشَّهادةِ أَدْلَتْ وَفْقَ ما طَلَبُوا ... وبَيَّنَتْ أنّ طَهَ خاتَمُ الرُّسُلِ

٧- وَقَدْ أَصَرُّوا على كُفْرٍ كما حَرَصُوا ... على عبادةِ عُزَّى أو على هُبَلِ

٨- أكان يَتْرُكُهُمْ في الغَيِّ خالِقُهُمْ ... وليس تَجْرِي عليهم سُنَّةُ الأُوَلِ! [١]

٩- هو الرَّحيمُ ، إلى الكفّارِ رَحْمَتُهُ ... قد انْتَهَتْ رَغْمَ سُوءِ القَوْلِ والعَمَلِ

١٠- بِبِعْثَةِ المصطفى المختارِ من مُضَرٍ ... مَشَى الأمانُ لِجارِ البَيْتِ في مَهَلِ[٢]

١١- رَبُّ الأَنامِ أَبَى وَقْتاً يُعَذِّبُهُمْ ... ما دام أَحْمَدُ يَدْعُوهم بِلا وَجَلِ

١٢- ذاك الأَمانُ بإذنِ اللهِ خالِقِهِمْ ... كذا التّضَرُّعُ لِلرَّحمنِ مِنْ زلَلِ

١٣- فَهَلْ عَرَفْتَ أُناساً فاق حُمْقُهُمُ ... حُمْقَ الّذين أضاعُوا الْأَمْنَ بالخَبَلِ[٣]

١٤- هُمْ يَسْألونَ إله العَرْشِ يُمْطِرُهُمْ ... حِجارةً مِنْ سَماءِ النّارِ والشُّعَلِ

١٥- إذا يكونُ الّذي يَتْلُو الحبيبُ على ... مَسامِعِ القَوْمِ وَحْيَ اللهِ مِنْ أَزَلِ[٤]

١٦- هُمْ يَسْأَلونَ هلاكاً دونما وَجَلٍ ... هم يَفْخَرُون بِكُفْرٍ دونما خَجَلِ!

١٧- وهُمْ بِإخراجِ خَيْرِ الخَلْقِ كُلَّهِمُ ... لقد أَضافُوا لِطينٍ أَسْوَأَ البَلَلِ

---

(١) الأُوَل ، جمع الأُولى .

(٢) المَهَل : التّؤدة والرّفق .

(٣) الخَبَل : الجنون .

(٤) الأَزَل : القِدَم .

١٨- هما أَمانانِ كلُّ غابَ مِنْ خَلَلِ ... ويَوْمَ بَدْرٍ تَجَلَّتْ قِمَّةُ الفَشَل

١٩-وإنّ رحمةَ رَبّي ليس تَطْرُدُهُمْ ... لكنْ تطارِدُهُمْ في كُلَّ مُرْتَحَل[١]

٢٠- أُنْظُرْ إلى سُوَرِ القرآنِ يَقْرَؤُها ... عَلَيْهِمُ المصطفى والقَوْمُ في شُغُل

٢١- وهل سَمِعْتَ عن الآثارِ تَتْرُكُها ... تِلاوةُ المصطفى مِنْ دونِ ما كَلَل ؟

٢٢- فذاك عُتْبَةُ جاءَ المصطفى فَرِحاً ... مُمَثّلاً لِقُرَيْشِ المالِ والجَمَل

٢٣- عَلَيْهِ يَعْرِضُ ما يَخْتارُ مِنْ عَرَضٍ ... وما يشاءُ مِنَ الأمجادِ والإبِل

٢٤- شَريطَةَ الكَفِّ عن نَشْرٍ لِدَعْوَتِهِ ... وعن هُجومٍ على الأَدْيانِ والمِلَل

٢٥- دعا الحبيبُ رسولَ القَوْمِ في جَذَلٍ ... إلى سَماعِ كلامٍ ساغَ كالعَسَل

٢٦- لكي يَرَى رَأْيَهُ مِنْ بَعْدُ في سَعَةٍ ... من التّفكُّرِ في ذا الموقِفِ الجَلَل

٢٧- فإن يشأ ربُّك الأَعْلَى هِدايَتَهُ ... سَيَشْرَحُ الصَّدْرَ مِنْهُ دونَما دَخَل[٢]

٢٨- وإن يَشَأْ أن يُضِلَّ الْمَرْءَ أنت تَرَى ... تَحَوُّلَ الصَّدْرِ ضِيقاً مَفْحَصَ الحَجَل[٣]

٢٩- تلا الرّسولُ حبيبُ اللهِ في مَهَلٍ ... آيَ الكتابِ الجَليلِ اللَّفْظِ والجُمَل

٣٠- على مَسامِعِ من يَرْجُو هِدايَتَهُ ... إلى سَبيلِ رَشادٍ أَصْلَحِ السُّبُلُ

٣١- لَعَلَّ ربَّكَ يَهْديهِ لجَنَّتِهِ ... فليس ساكنُها يَشْتاقُ لِلْبَدَل

٣٢- ورُبَّما في اهْتداءِ الفَرْدِ تُرْشِدُهُ ... هِدايةُ الجَمْعِ والأقوامِ والدُّوَل

٣٣- أليس قَصْدُ قُرَيْشٍ حين تَبْعَثُهُ ... تَفَقُّدَ الجَوَّ مِنْ صَحْوٍ ومِنْ بلَل ؟

٣٤- وما الّذي يَمْنَعُ الْمَبْعُوثَ في صَلَفٍ ... من التّحوُّلِ مِنْ سَفْحٍ إلى قُلَل[٤]

٣٥- ومِنْ تَضَمُّنِ قَلْبٍ كافِرٍ أَشِرٍ ... إلى تَضَمُّنَ قَلْبٍ مُخْبِتٍ وَجِل ؟

---

(١) المرتحل : الارتحال وموضع الارتحال .

(٢) الدَّخَل : الرّيبة والفساد .

(٣) الحَجَل جمع الحَجَلة : طائرٌ في حجم الحمام يشبه الدَّجاج . والمفحص : الحفرة تحفرها لتبيض وترقد فيها .

(٤) الصَّلَف : التّكبّر والإعجاب بالنّفس . القُلل : القِمم والمفرد القُلّة .

٣٦- هـو الرَّسـولُ لنـا في خُلْقِـهِ مَثَـلٌ ونحـــن في خُلْقِنـــا نَحْتـــاجُ لِلْمَثَـــل

٣٧- ولـيس يَعْنيـكَ بَعْـدَ الجُهْـدِ تَبْذُلُـهُ وحُسْـنِ قَصْـدِكَ أن أَخْفَقْـتَ في العَمَـل

٣٨- أليس في المصطفى الْمَبْعُوثِ أُسْوَتُنا فإنَّـــهُ في قَلِيـــلِ الـــدَّرْبِ لم يَصِـــل

٣٩- ولا يُقـاسُ عَظِـيمُ الفَـوْزِ حَقَّقَـهُ بِـبَعْضِ مـا لم يُحَقِّـقْ خـاتَمُ الرُّسُـل

٤٠- هِـيَ الهِدايَـةُ إن يَقْـضِ الْمَلِيـكُ بها أَتَتْـك بَـيْنَ خِيـار النّـاسِ كالحَمَـل

٤١- أمّـا إذا كانَـتِ الأُخَـرى فَـأُفَّ لها تَأْتِي الشَّـقاوةُ لِلأَشْـقَى علـى عَجَـل

٤٢- هـو الْحَبِيـبُ أمـامَ البَيْـتِ في الحَـرَم يَرْنُـو إلى الكَعْبَـةِ الغَـرّاءِ في الحُلَـل[١]

٤٣- وحولَـهُ النّـاسُ مِـنْ مـاشٍ يَطُـوفُ بِها ومـن مُلَـبٍّ ومِـنْ سـاعٍ ومُبْتَهِـل[٢]

٤٤- وعـن قَرِيـبٍ حَمَـامُ البَيْـتِ في شُـغُلٍ بِلَقْـطِ حَـبَّ وشُـرْبٍ دونمـا وَجَـل

٤٥- هـي السَّـكِينةُ تَغْشَـى النّـاسَ قاطِبـةً فكيـف طـهَ فتاهـا وابـنُ شِـعْبٍ علـى

٤٦- أَصْـغَى رسـولُ قُـرَيْشٍ لِابْـنِ آمنـةٍ يُرَتِّـــل الآيَ تَـــرْتِيلاً علـــى مَهَـــل

٤٧- هـو الإمـامُ تَلَقَّـى الآيَ عـن مَلَـكٍ هـــو الأَمِـــينُ رَسُـــولُ اللهِ للرُّسُـــل

٤٨- فيهـا مِـنَ الزَّجْـرِ مـا يُنْـزُو الفؤادُ لَـهُ خَوْفـاً وليس وراءَ الشَّـرْكِ مِـنْ دَجَـل[٣]

٤٩- إلى عوالِمِهـــــا الآياتُ تَحْمِلُنـــــا مِـــنَ البِشـــارَةِ والإنـــذارِ والجَـــدَل

٥٠- مِـنَ الجِنـانِ بهـا الأنهـارُ مِـنْ لَـبَنٍ ومـاءِ طُهْـرٍ وخَمْـرٍ شِـئْتَ أو عَسَـل

٥١- إلى جَحِـيمٍ تَلَظَّـى وهْـيَ عابِسَـةٌ ماذا علا الوَجْهَ ذاك اليَوْمَ مِنْ ظُلَل[٤]

٥٢- ذاك الدَّليلُ على نَـوْعِ الشَّرابِ بِها ومـا أُعِـدّ لِأَهْـلِ الكُفْـرْ مِـنْ نُـزُل

٥٣- طُغـاةُ مكّـةَ يَـوْمَ الحَشْـرِ يَقْـدُمُهُمْ إلى جهـنَّم عَمْـرُو الجَهْـلِ والخَطَـل[٥]

---

(١) الحُلَل جمع الحُلّة وهي الثّوب الجيّد الجديد .

(٢) المبتهل : المتضرّع المجتهد في الدّعاء .

(٣) ينزو : يثب .

(٤) الظُّلل : جمع الظُّلّة بمعنى ميل الوجه إلى السّواد ، والأصل في الظّلّة السَّحابة .

(٥) عمرو الجهل : هو أبو جهل عمرو بن هشام المخزومي .

٥٤- وما الّذي يَفْعَلُ الْمَغْلُوبُ حين يَرَى قُــواهُ خــارَتْ لِقُــرْآنٍ عَلَيْــهِ تُلِــى

٥٥- هــو الرَّسُــولُ حَبِيــبُ الله يَقْــرؤُهُ لِنَشْــرِ دِيــنٍ بِحَبْــلِ الله مُتَّصِــل

٥٦- وأيــن آيُ كتــابِ اللهِ قــد جَهَــرَتْ بأنّ ذا الــدَّينَ دِيــنُ الله في الأَزَل ؟

٥٧- بِـبَطْنِ مَكَّـةَ عنـد البَيْـتِ في الحـرِم علـى مَسـامِعِ أَهْـلِ السَّـهْلِ والجَبَـل

٥٨- وهـل أفـادَ مِـنَ الآياتِ قـد تُلِيَـتْ علـى مَسـامِعِه بِلِسـانِ المصـطفى البَطَـل

٥٩- ذاك الّـذي مِـنْ قُـريشٍ جـاء مُنْتَـدَباً عَـنْ كُـلَّ مُنْتَطِـقٍ بالشَّـرْك مُنْتَعِـل ؟ (١)

٦٠- وهـل أفـادَ بُغـاةُ القَـوْمِ مِـنْ حَكَـمٍ دعــا لِتَــرْكِ رســولِ اللهِ والأجَــل

٦١- فـإن يَمُـتْ كـان مـا يَهْـوُونَ مِـنْ زَلَـلِ وإن يَفُـزْ كـان مَجْـدَ السّـادةِ الأُوَل(٢)

٦٢- وكيـف يُنْصِـفُ قـومٌ كُـلُّ هَمَّمِهـمُ أن يُـدْرِكُوا رَكْـبَ مَجْـدِ الـوحيِ والرُّسُـل؟

٦٣- اللهُ أَعْلَــمُ مَــنْ أهــلٌ لِنِعْمَتِــهِ وحَمْـلِ عِـبْءٍ جَليـلٍ غايـةِ الثِّقَـل

٦٤- ذاكَ الحبيـبُ الّـذي في الخَـيْرِ حَبَّبَنـا دِيناً ودُنْيا وفي اسْتِمْلاحِ كُلِّ عِلَى(٣)

تمّت

مساء يوم الأربعاء ١٤٢٤/١٢/٢٠هـ

مكّة المكرّمة

---

(١) كلّ منتطق بالشرك منتعل : كلّ من جعل الشرك نطاقاً وحزاماً في وسطه ونَعلاً في قدمه .

(٢) من زمن: من وقتٍ مضى .

(٣) علا الشّيء علواً : ارتفع فهو عالٍ وعليّ .

﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ﴾

إنّ الدّين المتقبّل عند الله تعالى هو دين الإسلام الّذي بعث الله تعالى به محمّداً صلّى الله عليه وسلّم . جاء في سورة آل عمران[1] المدنيّة [2] قول الحقّ جلّ وعلا :

﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩) ﴾

والمعنى ، والله تعالى أعلم ، إنّ الدّين المتقبّل عند الله تعالى هو دين الإسلام الّذي بعث الله تعالى به محمّداً صلّى الله عليه وسلّم ، وهو الدّين النّاسخ لجميع الأديان الأخرى، السّماويّة ، ومن باب الأَحْرى غير السّماويّة . والمعروف أنّ الحقّ جلّ وعلا بعث جميع النّبيّين والمرسلين بدين الإسلام ، بمعناه العامّ ، وهو الاستسلام لله تعالى بالخضوع ، والانقياد له عزّ وجلّ بالطّاعة ، والخلوص من الشّرك . وما اختلف الّذين أوتوا الكتاب السّماويّ من اليهود والنّصارى وما تنازعوا في الدّين إلاّ من بعد ما جاءهم من الله تعالى العِلْمُ الحقّ ، وما اقتتلوا إلاّ بباعث البغي بينهم. ومن يكفر بآيات الله تعالى البيّنات فإنّ الله تعالى سريع الحساب ، وسيأخذه عزّ وجلّ أخذ عزيزٍ مقتدر .

وقد بشّر بمحمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم كلٌّ من التّوراة والإنجيل ، وموسى وعيسى عليهما الصّلاة والسّلام .

كما بيّنت الآية الكريمة السّابعة والخمسون بعد المائة من سورة الأعراف المكّيّة [3] بعض صفات الّذين سوف تَسَعُهُمْ رحمة الله تعالى . قال عزّ من قائل :

---

(١) الآية ١٩ .

(٢) الإتقان ٤٣/١ .

(٣) الإتقان ٤٢/١ .

﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧) ﴾

والمعنى ، والله تعالى أعلم ، إنّ من بين الّذين سوف تسعهم رحمة الله تعالى أولئك الّذين يتّبعون محمّداً صلّى الله عليه وسلّم الرّسول النّبيّ الأمّيّ الّذي لا يقرأ ولا يكتب والذي يجده أهل الكتاب من اليهود والنّصارى مكتوباً عندهم في التّوراة الّتي أوحاها الله تعالى إلى موسى عليه السّلام ، وفي الإنجيل الّذي أوحاه الله تعالى إلى عيسى عليه السّلام. إنّ محمّداً صلّى الله عليه وسلّم يأمرهم بالمعروف شرعاً وعقلاً ، ابتداءً بالإيمان بالله ولزوم طاعته فيما أمر ونهى[١] وينهاهم عن المنكر شرعاً وعقلاً ، ابتداءً بالشّرك بالله[٢] ويحلّ لهم الطّيّبات ، ويحرّم عليهم الخبائث كلحم الخنزير والرّبا وما كانوا يستحلّونه من المطاعم والمشارب الّتي حرّمها الله[٣] ويضع عنهم إصرهم وثِقْلَهُم[٤] والأغلال المعنويّة الّتي كانت عليهم مثل قتل النّفس في التّوبة ، وقطع أثر النّجاسة[٥] وتحريم الغنائم ونحو ذلك من الأعمال الّتي كانت عليهم مفروضةً فنسخها حكم القرآن [٦] فالّذين آمنوا بمحمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم ، ووقّروه وعظّموه [٧] ونصروه واتّبعوا النّور الّذي أنزل معه من قرآنٍ كريمٍ وسنّةٍ نبويّةٍ مطهّرة أولئك هم المفلحون حقّاً ، الفائزون صدقاً .

---

(١) تفسير الطّبري ٥٧/٩ .

(٢) تفسير الطّبري ٥٧/٩ .

(٣) تفسير الطّبري ٥٧/٩ .

(٤) الجلالين .

(٥) الجلالين .

(٦) تفسير الطّبري ٥٨/٩ .

(٧) تفسير الطّبري ٥٨/٩ .

وقد ذكرت الآية الكريمة السّادسة من سورة الصّفّ المدنّية [1] ما جرى على لسان عيسى عليه السّلام في هذا الشّأن . قال عزّ من قائل :

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٦) ﴾

والمعنى ، والله تعالى أعلم ، واذكر إذ قال عيسى ابن مريم عليه السّلام ، وهو آخر أنبياء بني إسرائيل ، يا بني إسرائيل إنّي رسول الله تعالى إليكم ، مصدّقاً لما أوحى الله تعالى بين يديّ من التّوراة التي أوحاها الله تعالى إلى موسى عليه السلام ، ومبشّراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد . فلمّا جاءهم محمّدٌ صلّى الله عليه وسلّم بالآيات البيّنات من ربّ العالمين قالوا هذا القرآن سحرٌ مبينٌ لا يخفى على أحدٍ أنّه سحر .

روى البخاريّ [2] عن محمّد بن جبير بن مطعم عن أبيه رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : " لِيَ خمسة أسماء . أنا محمّد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي الّذي يمحو الله بي الكفر . وأنا الحاشر الّذي يُحْشَرُ النّاس على قدمي . وأنا العاقب .

والاسم العاقب يعني الخاتم [3] .

---

(١) الإتقان ٤٣/١ .

(٢) فتح الباري ٥٥٤/٦ حديث رقم ٣٥٣٢ وانظر ٦٤٠/٨ حديث رقم ٤٨٩٦ .

(٣) فتح الباري ٥٥٦/٨ .

ومحمّدٌ صلّى الله عليه وسلّم دعوة إبراهيم عليه السّلام أبي الأنبياء ، عليهم جميعاً صلوات الله تعالى وسلامه . جاء في سورة البقرة[1] المدنيّة [2] قول الحقّ جلّ وعلا :

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩) ﴾

والمعنى ، والله تعالى أعلم ، واذكر إذ يرفع إبراهيم عليه السّلام القواعد من البيت الحرام في مكّة المكرّمة وابنه إسماعيل عليه السّلام قائلين في تواضع : يا ربّنا تقبّل مِنّا أعمالنا الصّالحة الّتي أَرَدْنا بها وجهك الكريم ، إنّك أنتَ السّميع لكلّ قول ، العليم بكلّ نيّةٍ وفعل . يا ربّنا واجعلنا مسلمين لك ، منقادين لحكمك ، راضيين بقضائك ، واجعل من ذرّيّتنا أمّةً مسلمةً لك ، وأَرِنا مناسكنا للحجّ والعمرة[3] وتب علينا ، واقبل توبتنا ، إنّك أنت التّوّاب لمن تاب إليك بإخلاص ، الرّحيم الّذي وسعت رحمته كلّ شيءٍ وحيّ .

يا ربّنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك البيّنات ، ويعلمّهم كتابك العزيز ، والسّنّة النّبويّة المطهّرة ، ويطهّرهم من الشّرك والآثام . إنّك أنت العزيز في ملكك الحكيم في صنعك .

---

(١) الآيات ١٢٧-١٢٩ .

(٢) الإتقان ١/٤٣ .

(٣) انظر تفسير الطّبري ١/٤٣٤ .

وقد تحدّى الحقّ جلّ وعلا كلّ الإنس والجِنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن الكريم ، أو بعشر سور ، أو بسورةٍ واحدةٍ فعجز الجميع .

جاء في سورة الإسراء [١] المكّيّة [٢] قول الحقّ جلّ وعلا :

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨) ﴾

والمعنى ، والله تعالى أعلم ، قل يا محمّد ، لئن اجتمعت الإنس والجِنّ في صعيدٍ واحدٍ على أن يأتوا مجتمعين بمثل هذا القرآن الكريم لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم ظهيراً لبعضٍ وعوناً له .

وجاء في سورة هود[٣] المكّيّة [٤] قول الحقّ جلّ وعلا :

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٣) فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللّهِ وَأَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٤) ﴾

والمعنى ، والله تعالى أعلم ، أيقول المشركون إنّ محمّداً قد افترى القرآن الكريم[٥] واختلقه[٦] من عند نفسه .قل يا محمّد فأتوا بعشر سورٍ مثله مُفْتَعلاتٍ مُخْتَلقات[٧] وادعوا

---

(١) الآية ٨٨ .

(٢) الإتقان ٤٣/١ .

(٣) الآية ١٣ و ١٤ .

(٤) الإتقان ٤٣/١ .

(٥) انظر تفسير الطّبري ٧/١٢ .

(٦) تفسير الطّبري ٧/١٢ .

(٧) تفسير الطّبري ٧/١٢ .

من استطعتم أن تدعوهم سوى الله لافتراء ذلك واختلاقه من الآلهة[١] إن كنتم صادقين في ادّعائكم أنّه من قول محمّد صلّى الله عليه وسلّم . فإن لم يستجب المشركون لكم ونكصوا على أعقابهم فاعلموا أيّها المؤمنون أنّما أُنْزِل القرآن الكريم بعلم الله تعالى، واعلموا أنّه لا إله إلاّ الله[٢] فهل أنتم أيّها المشركون مسلمون لله تعالى ربّ العالمين ، وهل أنتم مذعنون لله بالطّاعة ومخلصون له العبادة بعد ثبوت الحجّة عليكم[٣] .

وجاء في سورة يونس[٤] المكّية [٥] قول الحقّ جلّ وعلا :

﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٧) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٨) بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٣٩) ﴾

والمعنى ، والله تعالى أعلم ، وما ينبغي لهذا القرآن[٦] أن يختلقه[٧] أحدٌ من عند غير الله تعالى ولكنّه من عند الله أنزله مصدّقاً لما قبله من الكتب الّتي أنزلت على أنبياء الله كالتّوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله الّتي أنزلها على أنبيائه[٨] وتبيان الكتاب الّذي كتبه

(١) تفسير الطّبري ٧/١٢ .
(٢) الجلالين .
(٣) تفسير الطّبري ٨/١٢ .
(٤) الآيات ٣٧-٣٩ .
(٥) الإتقان ٤٣/١ .
(٦) تفسير الطّبري ٨٢/١١ .
(٧) تفسير الطّبري ٨٢/١١ .
(٨) تفسير الطّبري ٨٢/١١ .

الله على أمّة محمّد صلّى الله عليه وسلّم وفرائضه الّتي فرضها عليهم في السّابق من علمه[1] لا شكّ فيه أنّه موحًى به من ربّ العالمين . أيقولون إنّ محمّداً قد اختلقه . قل فأتوا بسورة مثله ، وادعوا من استطعتم دعوته من الآلهة كي يعينوكم إن كنتم صادقين أنّ هذا القرآن الكريم ليس من عند الله تعالى . بل الحقيقة أنّ المشركين كذّبوا بما لم يحيطوا بعلمه ممّا جاء في هذا الكتاب العزيز ولم يتدبّروه ، ولمّا يأتيهم ما يئول إليه من معانٍ وأمورٍ غيبيّة تنبّأ بها وتتّضح تِباعاً. فانظر يا محمّد ويا أيهّا الإنسان كيف كان عاقبة الظّالمين في كلّ زمانٍ ومكان .

وجاء في سورة البقرة[2] المدنيّة [3] قول الحقّ جلّ وعلا :

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤) ﴾

والمعنى ، والله تعالى أعلم ، وإن كنتم أيّها المشركون في شكّ[4] ممّا نزّلنا على عبدنا محمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم من القرآن الكريم فأتوا بسورةٍ واحدةٍ من مثل القرآن الكريم، واستنصروا واستعينوا[5] بآلهتكم الّتي تدعونها[6] من غير الله تعالى لتعينكم[7] إن كنتم صادقين في دعواكم . فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا حتّى يوم القيامة فاتقوا النّار الّتي وقودها

(١) تفسير الطّبري ٨٢/١١ .
(٢) الآية ٢٣ و ٢٤ .
(٣) الإتقان ٤٣/١ .
(٤) تفسير الطّبري ١٢٨/١ .
(٥) تفسير الطّبري ١٣٠/١ .
(٦) الجلالين .
(٧) الجلالين .

النّاس الكفّار[1] والحجارة كأصنامهم [2] أعدّها الله تعالى للكافرين .

وقد أوحت هذه المعاني بالقصيدة التّالية .

---

(١) الجلالين .

(٢) الجلالين .

القصيدة الثّالثة عشرة (٧٦)بيتاً

الهجرة إلى الحبشة (من الوافر)

١- حُشودُ الشَّركِ تَنْهَزِمُ انْهِزاما ... ونُورُ الحَقِّ يَقْتَحِمُ الظَّلاما

٢- ودِينُ اللهِ يَغْزُو كلَّ بَيْتٍ ... بِمَكَّةَ حَيْثُ بيتُ اللهِ قاما

٣- وأَحْمَدُ هَمُّهُ يَدْعُو لِدِينٍ ... هو الإسْلامُ قد جَلَبَ السَّلاما

٤- هو الدِّينُ الّذي يَسْعَى حَثِيثاً ... لِيَبْلُغَ وجهُهُ البَدْرَ التَّماما[١]

٥- لقد رَضِيَ الْمَلِيكُ بأنّ دِيناً ... هو الإسْلامُ يَنْتَظِمُ الأَناما[٢]

٦- وهذا الدّينُ يَشْمَخُ في الرَّوابي ... وَيَرْفَعُ في دُرُوبِ الْحَقّ هاما[٣]

٧- ويَتَّخِذُ القُلُوبَ لَهُ مَقَرّاً ... ويَمْنَحُها السَّعادَةَ والوِئاما[٤]

٨- هو الدِّينُ القويمُ لِعَهْدِ نوحٍ ... وإخْوانٍ لَهُ كانوا الْكِراما

٩- وتاجُ فَخارِهِمْ طهَ المُفَدَّى ... لقد كان الحَبِيبُ هو الخِتاما

١٠- بِأَحْمَدَ بَشَّرَ الْمُخْتارُ عِيسى ... وصاحِبُهُ الكليمُ غَداةَ صاما[٥]

١١- أبٌ لِلْأَنْبِياءِ دعا بِخَيْرٍ ... لِقَوْمٍ جاورُوا البَيْتَ الحراما[٦]

١٢- بأن يَهَبَ المليكُ لَهُمْ رَسُولاً ... عليهم يَقْرَأُ السُّوَرَ العِظاما

١٣- يعلِّمُهُمْ فَيَطَّرِحُونَ جَهْلاً ... يُزَكِّيهِمْ فلا يَأْتُونَ ذاما[٧]

١٤- وها هي ذي سَحائِبُ دِينِ طهَ ... تزيدُ سَماؤها عاماً فعاما

---

(١) الحثيث : السّريع الجادّ في الأمور .

(٢) الأنام : الخلق .

(٣) يَشْمَخ : يرتفع . الهام : الرّءوس ، والمفرد هامة .

(٤) الوئام : الوفاق .

(٥) الكليم موسى عليه الصّلاة والسّلام وقد صام أربعين يوماً .

(٦) أبو الأنبياء : إبراهيم عليه السّلام .

(٧) يطّرحون الجهل : يطرحونه . والذّام . العيب .

١٥- وهـذا ماؤُهـا غَمَـرَ الصَّـحارَى وهـذا نَبْتُهـا غَطَّـى الإكامـا[١]

١٦- وهـذا الـوَحْيُ يقـرؤهُ تُقـاةٌ هُـمُ لَزِمُـوا العِبـادةَ والقِيامـا

١٧- لقـد ضـاقَتْ علـى الكُفَّـارِ أَرْضٌ تَوَشَّـحَتِ الْمَبـانِيَ والخِيامـا[٢]

١٨- لأنّ أَرِيـجَ دِيـنِ اللهِ فاحَـتْ نَسـائِمُهُ وعَطَّـرَتِ الأَنامـا

١٩- ولا يَرْضَـى الكَنـودُ رُسُـوخِ حَـقٍّ ولـو كـان الرّسـولُ هـو الإمامـا[٣]

٢٠- فكيـف إذا يكـونُ أسِـيرَوَهْمٍ بأنّ الـوَحْيَ قـد يَغْـدُو مَرامـا[٤]

٢١- تَبـارَى القَـوْمُ في حَلَبـات سَـبْقٍ وكـلٌّ شَـدَّ في يَـدِهِ لِجامـا[٥]

٢٢- لِنَيْـلِ الْـوَحْيِ لكـنْ ذاك وَهْـمٌ وكـان عَـذابُ سَـبْقِهِمُ لِزامـا

٢٣- أَبَـوْا أن يَرْجِعـوا لِلْحَـقِّ لمّـا تأكَّـدَ أنَّهُـمْ فَقَـدُوا الزِّمامـا

٢٤- وأنّ الـوَحْيَ مَحْـضُ الَفَضْـلِ يَأْتِي إلى مَـنْ يُصْـطفَى وسَمَـا مَقامـا

٢٥- جُنـونُ القَـوْمِ لـيس لَـهُ حُـدُوْدٌ لقـد جـاءوا الكَبـائِرَ والأَثامـا[٦]

٢٦- هُـمُ قَتَلُـوا هُـمُ فَـتَنُوْا وعَقُّـوا وكـان عـذابُهُمْ حَقّـاً غَرامـا[٧]

٢٧- هُـمُ لم يَرْحَمُـوا أُنْثَـى وشَـيْخاً وطِفْـلاً بَعْـدُ لم يُحْسِـنْ كَلامـا

٢٨- وكـان المصـطفى مِـنْ فَضْـلِ رَبِّي بَعِيـداً أن يُـرامَ وأن يُرامَـى

٢٩- بِأَمْـرِ اللهِ نَفَّـذَ أَمْـرَ طـهَ تُقـاةٌ غـادَرُوا البَلَـدَ الحرامـا

---

(١) الإكام جمع الأكَمَة ، بمعنى التَّلّ .

(٢) توشّحت المباني : لبست المباني كالوشاح . والوشاح نسيج عريضٌ يُرصَّع بالجوهر وتشدّه المرأة بين عاتقها وكشحيها .

(٣) الكَنود : الكفور الجحود للنَّعم .

(٤) المرام : المطلب .

(٥) الحلبات جمع الحَلْبة . بمعنى مَيدان سباق الخيل .

(٦) الأثام : الإثم .

(٧) غراما : دائماً ملازماً .

٣٠- إلى بَلَـدَ ٍ يَفِـيضُ العَـدْلُ فيـهِ وكـان الحـاكِمُ الْمَلِـكَ الهُمامـا[١]

٣١- مِـن الْمَـوْلَى رَجَـوْا خَـيْراً عَمِيمـاً ومَـنْ قَصَـدَ الكَـرِيمَ فَلَـنْ يُضـاما

٣٢- لَقَدْ وَجَدَ الصَّحابُ لدى النَّجاشِي جِـواراً فـاقَ واقِعُـهُ المنامـا

٣٣- هُـمُ عَبَـدُوا المُهَـيْمِنَ دون خَـوْفٍ علـى أَرْواحِهِـمْ تَلْقَـى الحِمامـا[٢]

٣٤- وحـين رَجـاهُ مبعـوثا قُـرَيشٍ يُعِيـدُ الصَّـحْبَ لم يَخْفِـر ذِمامـا[٣]

٣٥- همـا عـادا بِخُـفٍّ مِـنْ حُنَـيْنٍ لِكُـلَّ ٍ واسْـتَحقَّا أن يُلامـا

٣٦- وحـين أراد داهيـةُ الـدَّواهي -ولم يَـكُ بَعْـدُ أَسْـلَمَ واسْـتَقاما-

٣٧- يُهِـيجُ الشَّـرَّبين رُعـاةِ عَـدْلٍ وبـين الضَـيْفِ قـد خَسِـر الخِصـاما[٤]

٣٨- إلـهُ العَـرْشِ قـد أَوْحَـى لِطـهَ كتـاباً فـاق معـنىً وانْتِظامـا

٣٩- تَحَـدَّى الْحَـقُّ بالقـرآنِ جِنّـاً وإنْسـاً حينمـا ازْدادوا عُرامـا[٥]

٤٠- بأن يأتُـوا بِمِثْـلٍ أو بعَشْـرٍ مِـنَ السُّـوَرِ الّـتي فاقَـتْ نِظامـا

٤١- فـإن عَجَـزوا-وإنّ العَجْـزَ حَـتْمٌ- فَواحِـدَةٌ تُقارِبُـهُ مقامـا[٦]

٤٢- لقـد فَـرَّتْ قُـرَيْشٌ مَـنْ تَحَـدَّ بِقُـرْآنٍ وجَـرَّدَتِ الحُسـاما

٤٣- وَكُـلُّ ٌ بِليَّـةٍ سَـنَحَتْ أَتَتْهـا ولـو كانَـتْ هِـيَ الْمَـوْتَ الزُّؤامـا[٧]

٤٤- ولـو كانَـتْ إهاجَتَهـا النَّجاشـي وإهـلاكَ الأرامِـلِ واليَتَـامى

---

(١) الهُمام : السّيّد الشّجاع السّخيّ من الرّجال .

(٢) الحِمام : الموت .

(٣) لم يخفر الذّمام : لم ينقض العهد .

(٤) هو عمرو بن العاص رضي الله عنه أحد مبعوثي قريش .

(٥) العُرام : الشّراسة .

(٦) حتم : واجب .

(٧) الزُّؤام : السّريع .

٤٥- وهـــذا جَعْفـــرٌ يَبْـــدُو دواءً ... لِمَـنْ قـد كـان أَعْمَـى أو تَعَـامى[١]

٤٦- إذا سَـأَلَ النَّجاشِـي قـال حقًّـا ... ولـيس يَخـافُ في الْحَـقِّ الْمَلامـا

٤٧- وإن طَلَـب السّـماعَ لِـبَعْضْ آيٍ ... فهـذا الـدَّمْعُ يِنْهَمِـرُ انْسِـجاما[٢]

٤٨- ألا ذا جَعْفَـرٌ يَسْـمُو خَطيبـاً ... وإنْ قَـرَأ الْكِتـابَ سمـا إمامـا

٤٩- لقـد أَبْـدَى لِمَـنْ سَـأَلُوهُ عِلْمـا ... وبَـيَّنَ ذا حَـلالاً ذا حَرامـا

٥٠- وأَدْرَكَ كُـلُّ مَـنْ خَبَـرُوهُ حِلْمـاً ... وأَخْلاقـاً تَجَسَّـدَها تَمامـا

٥١- أَلَـيْسَ الْمَـرءُ تِلْمِيـذاً لِطـهَ ... نَـبِيٌّ خَيْـرُ مَـنْ صَـلَّى وصـاما

٥٢- أَلَـيْسَ الْمَـرْءُ فَـرْعَ بُيـوتِ مَجْـدٍ ... بُيـوتُ المجـدِ أنبتـت الكرامـا

٥٣- ألَمْ يُشْـبِهْ حَبيـبَ اللهِ خَلْقـاً ... وأَخْلاقـاً وآباءً عِظامـا !

٥٤- أيا ذا الهجْـرَتَيْنِ فَـدَتكَ رُوحِـي ... بِمُؤْتَـةَ أَنْـتَ مَـنْ فَلَّقْـتَ هامـا[٣]

٥٥- بِوَجْهِـكَ بِضْـعُ ضَـرَباتٍ بِسَـيْفٍ ... وصَـدْرُك هـالَ مـن عَـدَّ السَّـهاما[٤]

٥٦- ولم يَـكُ خَلْـفَ فارِسِـنا سِـهامٌ ... ولا ضَـرْبٌ وطَعْـنٌ بَـلْ أَمامـا[٥]

٥٧- إذا قُطِعَـتْ يـداك بِإِذْنِ رَبِّي ... بِمُؤْتَـةَ حـامِلاً عَلَمـاً تَسـامى

٥٨- فَفِـي جَنَّـاتِ عَـدْنٍ ذو جَنـاحٍ ... صَـحِبْتَ بِـهِ مَلائكـةً كِرامـا

٥٩- هَنِيئـاً لِلشَّـهيد جِنـانُ عَـدْنٍ ... وحُسْـنُ الـذِّكرِ قـد بات الوِسـاما

٦٠- جَمَعْـتَ الهجـرتين بِكُـلِّ فَخْـرٍ ... وقُلِّـدْتَ العَصـائِبَ والعِمامـا[٦]

---

(١) هو جعفر بن أبي طالب ابن عمّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم .

(٢) انسجاما : انصبابا .

(٣) غزوة مؤتة في جمادى الأولى سنة ثمانٍ من الهجرة . والهام جمع الهامة بمعنى الرّأس .

(٤) هال : أفزع .

(٥) كلّ الضّربات والطّعنات والرّميات بالسّهام في وجه جعفر وصدره .

(٦) العصائب جمع العِصابة بمعنى التّاج . والعمائم جمع العِمامة .

٦١- وكُنْتَ أخاً لِكُلِّ أَخٍ كَرِيمٍ ... وكُنْتَ أباً لِمَنْ بَلَغَ الفِطاما

٦٢- وُصُولُكَ لِلْمَدِينَةِ كان نَصْراً ... بَلَغْتَ بِهِ مِنَ المجدِ السَّناما

٦٣- بِهِ سُرَّ الرَّسولُ ونَيْلِ نَصْرٍ ... بِخَيْبَرَ إنّها خَفَرَتْ ذِمامـا[1]

٦٤- لِكُلِّ مُهاجِرٍ أَجْرٌ وعِزٌّ ... أُنُوفُ الشِّرْكِ يَمْلؤُها رَغاما[2]

٦٥- لقد أَلْقَى وَراءَ الظَّهْرِ قَهْراً ... ودارسَ بِخَطْوِه قَوْماً لِئاما

٦٦- وأرضُ اللهِ واسعةٌ لِعَبْدٍ ... يَفِرُّ بِدِينِهِ يَبْغِي السَّلاما

٦٧- هَنيئاً للمُهاجِرِ أرضُ عِزٍّ ... بِها يَلْقَى أَماناً واحْتِراما

٦٨- ويَعْبُدُ رَبَّهُ في خَيْرِ عَيْشٍ ... ويأمَنُ حِينَ أَذَّنَ أو أقاما

٦٩- ويَتْلُو مِنْ كِتابِ الله جَهْراً ... أرادَ الفَرْضَ أو أَدَّى القِياما

٧٠- ويَنْشُرُ دِينَهُ مِنْ دون خَوْفٍ ... وسُنَّةَ مَنْ أبَى لَيْلاً مَناما

٧١- لَقَدْ كَتَبَ المليكُ عَظِيمَ أَجْرٍ ... لِمَنْ يَنْوِي لِهِجْرتِهِ التَّماما

٧٢- ولَمْ يَطْلُبْ بها عَرَضاً رَخِيصاً ... ولم يَقْصِدْ بها يَمَناً وشاما

٧٣- أراد بِها يُعِزُّ الدِّينَ حَقّاً ... ويُحْيِي سُنّةً فاقَتْ مَقاما

٧٤- لنا في الهِجْرَتَيْنِ عَظِيمُ دَرْسٍ ... لِنَشْرِ الدِّينِ نَقْتَحِمُ الزَّحاما

٧٥- ورَفْعِ الرَّايةِ الكُبْرَى كنارٍ ... على عَلَمٍ قَدِ اخْتَرَقَ الغَماما[3]

٧٦- إلهُ العَرْشِ مَنْ فَطَرَ الأناما ... بِأحْمَدَ تَمَّمَ الرُّسْلَ الكِراما

تمّت

عصر يوم الجمعة ١٤٢٥/١/١٤هـ

مكّة المكرّمة

---

(١) خفرت الذِّمام : نقضت العهد .

(٢) الرَّغام : التّراب .

(٣) على علم : على جبل . والغمام : السَّحاب .

﴿إنّما المؤمنون إخوة﴾

بَيَّنَتِ الآيات الكريمات من سورة المائدة[1] المدنيّة [2] أنّ أشدّ النّاس عداوةً للمؤمنين هم اليهود والّذين أشركوا، وأنّ أقربهم مودّةً للمؤمنين هم الّذين قالوا إنّهم نصارى ، كما بيّنت ثواب المؤمنين المحسنين ، وعقاب الكافرين المجرمين . قال عزّ من قائل :

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (٨٤) فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٨٥) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (٨٦)﴾

جاء في سبب نزول الآية الكريمة[3] عن سعيد بن جبير قال : بعث النّجاشيُّ وفْداً إلى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقرأ عليهم النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فأسلموا ، قال : فأنزل الله فيهم الآية الكريمة الأولى .قال : فرجعوا إلى النّجاشيّ فأخبروه ، فأسلم النّجاشي فلم يزل مسلماً حتّى مات . قال : فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : إنّ أخاكم النّجاشي

---

(١) الآيات ٨٢-٨٦ .

(٢) الإتقان ٤٣/١ .

(٣) تفسر الطّبري ٢/٧ .

قد مات فصلّوا عليه فصلّى عليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالمدينة والنّجاشي ثَمّ[1] .

ومعنى الآيات الكريمات ، والله تعالى أعلم ، لتجدنّ يا محمّد[2] أشدّ النّاس عداوةً للّذين صدّقوا الله ورسوله محمّداً صلّى الله عليه وسلّم[3] اليهود والّذين أشركوا واتّخذوا الأوثان آلهةً يعبدونها من دون الله[4] . ولتجدنّ يا محمّد أقربهم مودّةً للّذين آمنوا بك فأسلموا وأفردوا الله تعالى بالعبادة أولئك الّذين قالوا وزعموا أنّهم نصارى من أتباع المسيح وعلى منهاج إنجيله[5] ذلك بسبب أنّهم منهم قسّيسين وهم العلماء[6] ورهباناً وهم العُبّاد[7] وأنّهم لا يستكبرون عن الانقياد إلى الحقّ واتّباعه والإنصاف لأنّهم متواضعون[8] وكلّ ذلك بسبب الرَّأْفَة والرّحمة اللّتين جعلهما الله تعالى في قلوبهم كما نّصت على ذلك الآية الكريمة السّابعة والعشرون من سورة الحديد المدنيّة [9] .

وإذا سمع النّصارى أتباع عيسى عليه السّلام ما أنزل الله تعالى إلى محمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم من آي الذِّكر الحكيم ترى يا محمّد ويا أيّها الإنسان أعينهم تفيض من الدّمع وتسيل به بعد أن امتلأت به بسبب ما عرفوا من الحقّ الّذي أوحاه الله تعالى إلى محمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم من الآيات الكريمات والذِّكر الحكيم . إنّهم وهم في تلك الحال من الخضوع والخشوع يقولون يا ربّنا إنّنا آمنّا بما أنزلت واتّبعنا الرّسول محمّداً صلّى الله عليه

---

(١) ثَمّ : بمعنى هناك .
(٢) تفسير الطّبري ٢/٧ .
(٣) تفسير الطّبري ٢/٧ .
(٤) تفسير الطّبري ٢/٧ .
(٥) تفسير ابن كثير ١٥٨/٣ .
(٦) تفسير ابن كثير ١٥٨/٣ .
(٧) تفسير ابن كثير ١٥٨/٣ .
(٨) انظر هنا تفسير ابن كثير ١٥٩/٣ .
(٩) الإتقان ٤٣/١ .

وسلّم فاكتبنا مع الشّاهدين ، واجعلنا وأثبتنا معهم في عِدادهم[1] ومن أُمَّة محمّد صلّى الله عليه وسلّم[2].

وما الّذي يمنعنا من الإيمان بالله تعالى الواحد الأحد ، الفرد الصّمد ، الّذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، وبما جاءنا من الحقّ ووصلنا فعلاً من الوَحْي الّذي أوحاه الله تعالى إلى محمّد صلّى الله عليه وسلّم . وما الّذي يمنعنا من أن نطمع في أن يُدْخِلنا ربّنا عزّ وجلّ فضلاً منه ونعمة مع القوم الصّالحين ، محمّد بن عبد الله صلّى الله عليه وسلّم وأمتّه ، جنّاتٍ تجري من تحتها أنهار الماء واللّبن والخمر والعسل!

فأثاب الله تعالى أولئك الّذين اتّبعوا محمّداً صلّى الله عليه وسلّم جنّاتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها . وذلك الخلود في جنّات النّعيم جزاء المحسنين . أمّا الّذين كفروا بالله تعالى وبدين الإسلام الّذي بعث الله تعالى به محمّداً صلّى الله عليه وسلّم وكذّبوا بآيات الله تعالى في الذّكر الحكيم فأولئك أصحاب الجحيم والنّار المحرقة .

وإلى نعوت هؤلاء النّصارى الّذين يخشعون لله تعالى ولم تأخذهم في الحقّ لومةُ لائمٍ فاتّبعوا محمّداً صلّى الله عليه وسلّم أشارت الآية الكريمةَ التّاسعة والتّسعون بعد المائة من سورة آل عمران المدنيّة[3] قال عزّ من قائل :

﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ(١٩٩) ﴾

والمعنى ، والله تعالى أعلم ، وإنّ من أهل الكتاب من اليهود والنّصارى لمن يؤمن

---

(١) تفسير الطّبري ٦/٧ .

(٢) تفسير الطّبري ٥/٧ .

(٣) الإتقان ٤٣/١ .

بالله تعالى الواحد الأحد ، ويؤمن بما أنزل إليكم أيّها المسلمون من القرآن الكريم ، وبما أنزل إليهم من التّوراة الّتي أنزلها الله تعالى على موسى عليه السّلام ، والإنجيل الّذي أنزله الله تعالى على عيسى عليه السّلام ، خاشعين لله تعالى خاضعين له جلّ وعلا بالطّاعة مستكينين له بها متذلّلين [1] لا يشترون بآيات الله تعالى التي أمرهم بالإيمان بها وإعلائها ، ثمناً قليلاً وغَرضاً رخيصاً من مالٍ أو مَنْصِبٍ أو جاهٍ مقابل كتمان الحقّ وإعلان الباطل . أولئك لهم أجرهم عند ربّهم عزّ وجلّ يوم القيامة . إن الله سبحانه وتعالى سريع الحساب.

وإنّ هؤلاء الّذين أسلموا من اليهود والنّصارى لهم أجران اثنان ، أجر اتّباعهم موسى أو عيسى عليهما السّلام ، وأجر اتّباعهم محمّداً صلّى الله عليه وسلّم . جاء في سورة القصص[2] المكّيّة [3] قول الحقّ جلّ وعلا :

﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥١) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ (٥٢) وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (٥٣) أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٥٤) وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ (٥٥) ﴾

والمعنى ، والله تعالى أعلم ، ولقد وصّلنا لكفّار مكّة القول الحقّ في هيئة القرآن الكريم الّذي تبيّنه السُّنّة النّبويّة المطهّرة ، لعلّهم يتذكّرون ويتّعظون . الّذين آتيناهم الكتاب السّماويّ من اليهود والنّصارى في هيئة التّوراة والإنجيل من قَبْل هذا القرآن[4] هم بهذا

---

(١) تفسير الطّبري ١٤٧/٤ .

(٢) الآيات ٥١-٥٥ .

(٣) الإتقان ٤٣/١ .

(٤) تفسير الطّبري ٥٦/٢٠ .

القرآن يؤمنون فيقرّون أنّه حقٌّ من عند الله[١] وإذا يُتْلَى عليهم قالوا آمنّا به إنّه الحقّ من ربنّا عزّ وجلّ إنّا كنّا من قبل نزول هذا القرآن مسلمين . وذلك أنّهم كانوا مؤمنين بما جاءت به الأنبياء قبل مجيء نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم من الكتب . وفي كتبهم صفة محمّد ونعته فكانوا به وبمبعثه وبكتابه مصدّقين قبل نزول القرآن[٢] أولئك الّذين اتّبعوا محمّداً صلّى الله عليه وسلّم من اليهود والنّصارى يؤتيهم الله تعالى أجرهم مرّتين اثنتين ، بصبرهم على الكتاب الأوّل ، واتّباعهم محمّداً صلّى الله عليه وسلّم وصبرهم على ذلك[٣] ويدفعون بحسنات أفعالهم الّتي يفعلونها سيئاتهم[٤] ولا يقابلون السّيّئ بمثله ولكن يعفون ويصفحون[٥] وممّا رزقناهم ينفقون في وجوه البرّ . وإذا سمعوا الباطل من القول [٦] لم يُصْغوا إليه ولم يستمعوه[٧] وقالوا للّذين يؤذونهم بألسنتهم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم وكلٌّ مُجازًى على عمله . سلامٌ عليكم وأمنٌ وطمأنينةٌ ولن تسمعوا منّا مالا تحبّون[٨] لا نريد طريق الجاهلين ولانحبّها [٩] .

---

(١) تفسير الطّبري ٢٠/٥٦ .

(٢) تفسير الطبري ٢٠/٥٧ .

(٣) تفسير الطّبري ٢٠/٥٧ .

(٤) تفسير الطّبري ٢٠/٥٧ .

(٥) تفسير ابن كثير ٦/٢٥٤ .

(٦) تفسير الطّبري ٢٠/٥٧ .

(٧) تفسير الطّبري ٢٠/٥٨ .

(٨) تفسير الطّبري ٢٠/٥٨ .

(٩) تفسير ابن كثير ٦/٢٥٤ .

وإنّ مَثَل عيسى عليه السّلام في الغرابة مَثَلُ آدم عليه السّلام ، فالله تعالى هو الّذي خلق كلاًّ منهما . جاء في سورة آل عمران[1] المدنيّة [2] قول الحقّ جلّ وعلا :

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٥٩) الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ (٦٠) فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (٦١) ﴾

والمعنى، والله تعالى أعلم ، إنّ شَبَهَ عيسى عليه السلام وحاله الغريب في خَلْقِ الله تعالى له من غير أب كشبه آدم عليه السّلام في خلق الله له من غير أبٍ ولا أمّ . بل إنّ حال آدم عليه السّلام أشدُّ غرابة . وبالتّالي فنحن بصدد تشبيه الغريب بالأغرب .

وكما لا يصحّ الزّعم بأنّ آدم عليه السّلام هو ابن الله تعالى،لا يصحّ بطريق الأَحْرَى والأَوْلَى الزّعم بأن عيسى عليه السّلام الأقلّ غرابةً هو ابن الله تعالى.لقد خلق الله تعالى آدم عليه السّلام من ترابٍ ثم قال له كن فكان . إنّ هذا الّذي قصّه الله تعالى في شأن عيسى عليه السّلام هو الحقّ من ربّك يا محمّد فلا تكن من الشّاكّين في هذا الحقّ . فمن جادلك يا محمّد في المسيح عيسى ابن مريم [3] من بعد ما جاءك من العلم الحقّ من الله تعالى فقل لهم يا محمّد تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ،ونساءنا ونساءكم ، وأنفسنا وأنفسكم ثمّ نبتهل ونتضرّع إلى الله تعالى في الدّعاء[4] فنجعل لعنة الله تعالى والطّرد من رحمته على الكاذبين .

---

(١) الآيات ٥٩-٦١ .

(٢) الإتقان ٤٣/١ .

(٣) تفسير الطّبري ٢٠٩/٣ .

(٤) الجلالين .

والله سبحانه وتعالى يسَّر القرآن الكريم وسهّله لِلذّكر ، أي سهّلنا لفظه ، ويسّرنا معناه لمن أراده ليتذكَّرَ النّاس[١] ويعتبروا ويتّعظوا[٢] فهل من ذي تذكّر [٣] واتّعاظ ، فيتذكّر ويتّعظ . جاء في سورة القمر[٤] المكيّة [٥] قول الحقّ جلّ وعلا :

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (٢٢) ﴾

وتقول الروّايات [٦] إنّ المسلمين حينما هاجروا إلى الحبشة واطمأنّوا في بلاد النّجاشيّ أرسلت قريش في أثرهم عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص ، ومعهما الهدايا إلى النّجاشي كي يسلمهما المسلمين فيعودا بهم إلى قريش . وفي أثناء لقاءين اثنين بين النّجاشي من ناحية ، وبين المسلمين ومندوبي قريش من ناحية أخرى ، قرأ جعفر بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه صدر سورة مريم وما جاء في السّورة الكريمة عن مريم وابنها عيسى عليهما السّلام . وكان النّجاشي يعتقد اعتقاداً صحيحاً في عيسى عليه السّلام من أنّه عبد الله ورسوله ، وروحه وكلمته ، ألقاها إلى مريم العذراء البتول . لقد عاد مندوبا قريش خائبين . وهذه هي الآيات الكريمات في سورة مريم[٧] المكّيّة[٨] في شأن مريم البتول وابنها عيسى عليه السّلام قال عزّ من قائل :

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (١٦) فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن

(١) تفسير ابن كثير ٤٥٣/٧ .
(٢) انظر تفسير الطّبري ٥٧/٢٧ .
(٣) تفسير الطّبري ٥٦/٢٧ .
(٤) الآية ٢٢ .
(٥) الإتقان ٤٢/١ .
(٦) انظر السيرة النّبويّة ٣٣٣/١-٣٣٨ .
(٧) الآيات ١٦-٤٠ .
(٨) الإتقان ٤٣/١ .

كُنتَ تَقِيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (١٩) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ
وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (٢٠) قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ
وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا (٢١) فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (٢٢) فَأَجَاءَهَا
الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَنسِيًّا (٢٣) فَنَادَاهَا مِن
تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ
رُطَبًا جَنِيًّا (٢٥) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ
صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا (٢٦) فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا
(٢٧) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (٢٨) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا
كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠)
وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ
يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣) ذَٰلِكَ
عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤) مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ
أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٣٥) وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٣٦)
فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٣٧) أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ
يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٣٨) وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ
فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٩) إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (٤٠) ﴾

والآيات الكريمات الغاية في العذوبة وقُرْب الفهم .

وقد أوحت هذه المعاني بالقصيدة التّالية .